

البَابُ الثَّالِثُ

قواعد استراتيجية عامة

هناك بعض القواعد الاستراتيجية التي ينبغي وضعها في الاعتبار عند التفكير في كيفية التعامل مع القمع:

1. حدد منهجية التعامل مع القمع في ضوء رؤية كلية للصراع.
2. حدد الهدف الفعلي من القمع وخطط لإفشاله.
3. ادرس الأرض جيداً.
4. لا تضع النواة الأساسية في معركة مباشرة مع الخصم.
5. احم نفسك وترقب خطأ خصمك.
6. اختبر خطط خصمك واختبر قدراتك على الدفاع والمناورة.
7. أفقد الخصم قدرته على التخطيط.
8. ارفع تكلفة القمع على الخصم.
9. لا تواجه الخصم حيث تتركز قوته.
10. غَيِّرْ قواعد اللعبة.
11. استثمر القمع في إجراء حوار واعتبره امتداداً للنشاط.
12. قاوم الخوف واليأس.
13. تمسك بالمسار وتسليح بالانضباط، ولا تحرك غريزة الانتقام.
14. بعد الضربات القوية اهتم برفع المعنويات.
15. اصنع المعضلة للخصم.
16. احذر عند استخدام استراتيجية التدخل الخشن.
17. تأكيد السلمية من اليوم الأول يقطع الطريق على تهمة «الإرهاب».
18. اجعل التخلص منك ليس في صالح خصمك.
19. قدرة المقاومة على مواجهة القمع مرهونة بقوة بنيتها التحتية.

القاعدة الأولى

حدد منهجية التعامل مع القمع
في ضوء رؤية كلية للصراع

يجب أن تكون منهجية التعامل مع القمع في إطار رؤية كلية للصراع، وأن تنطلق من تفكير كلي لما تريد أن تصل إليه المقاومة، بعيداً عن مأزق التفكير الجزئي الذي يتناول القمع كحادثة، ويفكر في كيفية التعامل معها.

حين يسأل أحد المقاومين بحماس، إننا نُضرب.. ماذا نفعل؟! في هذه الحالة فمن الأفضل ألا نقفز مباشرةً إلى إجابة مريحة على غرار.. «حسناً.. اضرب من يضربك».

إن مشروع التغيير أشبه بثوب، مصنوع من خيط واحد، وفلسفة المقاومة وأخلاقياتها أشبه بهذا الخيط، الذي يتسرب في كل جزئية من ثوب المقاومة، فيغزل الاستراتيجية وينسج التكتيك.

وتشمل الفلسفة أهداف المقاومة وشكل المجتمع الجديد الذي تريد، والسمات الأخلاقية لهذا المجتمع، ودور السلاح فيه، ومدى تماسك مكونات المجتمع المختلفة. هي باختصار تشمل الرسالة التي ينطلق منها ولها مشروع التغيير. وينبغي لهذا المستوى أن يهيمن على المستويين اللاحقين (الاستراتيجية والتكتيك)، بحيث يكونان تجسيداً عملياً له، ولا يُسمح لهذين المستويين أن يتمردا عليه، فينطلقا من قيم مخالفة لقيم الفلسفة. فعلي سبيل المثال إن كان من أهداف مشروع التغيير تأسيس مجتمع حر، ينبغي للاستراتيجية أن تدعم حرية العمل، وتلجأ إلى أسلوب مجموعات العمل المبادرة، بينما إن أُدريت المجموعات بشكل ديكتاتوري، فهذا يعني الانقلاب على قيم الفلسفة، وهو ما سيؤثر بدرجة كبيرة على طبيعة المنتج النهائي لمشروع التغيير. ونضرب مثلاً آخرًا بالحراك التغيير الحالم بتمدين الصراع السياسي، الذي يعلو فيه الحديث عن المجتمع الذي لا ينتصر فيه من يمتلك القوة العسكرية، حينها ينبغي أن تخدم الاستراتيجيات والتكتيكات هذا

الغرض، فيعتمد المحتجون على قوتهم اللاعنيفة. وهم حين يثابرون في سبيل التمسك بذلك، إنما ينزعون فعلياً قوة السلاح من المجتمع، ويؤسسون لمرحلة جديدة في إدارة الصراع السياسي.

لذلك تقل الرغبة الانفعالية في التعامل مع القمع، كلما كانت الرؤية الكلية واضحة، وعرف المقاومون ماذا يريدون تحديداً، وانتبهوا إلى أن ما يريدونه ينبغي الوصول إليه بطريقة تنسجم تماماً مع الهدف. فلا يمكن أن تدعو لدولة الصدق واستراتيجياتك وتكتيكاتك تمارس الكذب ونقض العهود، ولا يمكن أن تدعو لدولة تسع الجميع وهتافاتك تملؤها الطائفية أو العنصرية.

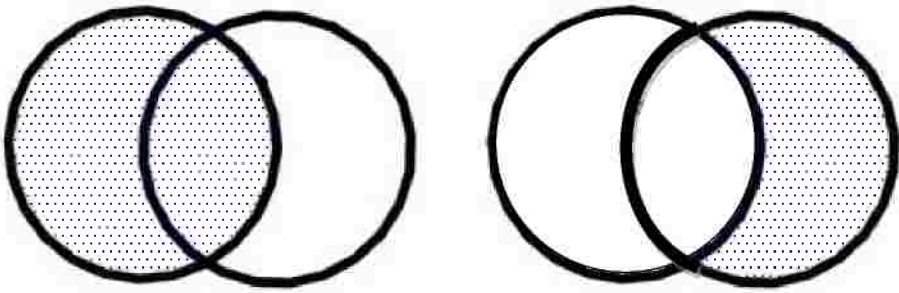
وكلما كان المقاومون على علم بما يريدونه؛ تمكنوا من رؤية القمع في مكانه الصحيح، كجزء من لوحة التغيير. فاللون الأسود لن يستبعد من اللوحة، وهنا ينبغي للمقاومين وللحركات التغييرية أن تسأل نفسها، هل علينا أن نمزق اللوحة أو نستأصل ونقتطع منها هذه المنطقة المرسوم فيها جندي القمع، أم أنه يمكننا استثمار هذا المكون وتحويله إلى قيمة تضيف بهاءً على اللوحة؟ حينها لن يكون السؤال كيف نتعامل مع القمع لتجنب البطش؟ بل كيف نتعامل مع القمع ليكون خادماً للرؤية الكلية للمشروع.

إن أهمية التفكير في كيفية التعامل مع القمع تكمن في كونه يعتبر نقطة التماس بين مشروعين. مشروع الحرية في مواجهة مشروع الاستبداد. فهو ليس مجرد مشهد اشتباك عابر بين فريقين، ولكنه المشهد الأكثر وضوحاً في التعبير عن لقاء رؤيتين في ساحة واحدة، رؤية الأمس مقابل رؤية المستقبل، والتحضر مقابل التخلف، والحلم مقابل الكابوس. لذا ينبغي أن يطغى مشروع الحرية برؤيته المستقبلية والمتحضرة والحالمة، وبأفكاره واستراتيجياته وتكتيكاته

ووسائله وإبداعاته، على مشروع الاستبداد برؤيته القديمة المتخلفة، وبأفكاره واستراتيجياته وتكتيكاته ووسائله.

فكيف ستعرض المقاومة مشروعها في أبهى صورة ليتضح للجميع الفارق الكبير؟! هل ستخضع للقمع باستخدام نفس آلياته ومنطق عمله، أم ستعلن التحدي بمنطقها الفريد وآلياتها المذهلة؟!

إن كل خطوة في مشروع التغيير تتصل بالمستقبل اتصالاً وثيقاً، فالاستراتيجيات والوسائل إما أن تكون كالطرق والجسور التي تمهد السبيل للمجتمع، أو كالأخاديد والحفر التي يتعثر فيها. وكل خيار لمشروع التغيير اليوم سيشكل غداً جزءاً من ذاكرة المجتمع، إما أن يساعده على التسامح والتلاحم، أو التباغض والتلاعن. لذلك كان مشهد القمع يخص المستقبل أكثر من الحاضر. هو الابتلاء الحقيقي لمشروع التغيير وأهدافه، وشكل المجتمع الذي يريد.



شكل 7: مشروع الاستبداد (الدائرة الرمادية) يشتبك مع مشروع الحرية المستقبلية (الدائرة البيضاء). والمساحة المشتركة بين الدائرتين تمثل القمع. فهل يستطيع مشروع الحرية أن يفرض أفكاره وأساليبه على مساحة القمع كما هي الحالة في الصورة اليمنى، أم أنه سيستسلم لأفكار وأساليب مشروع الاستبداد ويقلده في أفكاره وطرائق عمله كما هي الحالة في الصورة اليسرى؟

القاعدة الثانية

حدد الهدف الفعلي من
القمع وخطط لإفشاله

من أوائل الأسئلة التي يطرحها المقاومون في مواجهة الديكتاتوريات.. كيف يمكن تفادي الضربات الأمنية، أو صدها، أو الرد بشكل يردع المعتدين؟! لكن الأهم من التفكير في تكتيكات الردع والمقاومة هو التفكير في إجابة سؤال ما هو هدف القمع؟ ومتى يحقق أهدافه؟ فقد يكون وراء القمع أهداف أخرى غير إصابة المتظاهرين بأذى أو منعهم من الوصول إلى مكان محدد، مثل جر مجتمع المقاومة للعنف. بحيث تكتسب السلطة الحق القانوني والأخلاقي أمام الناس في الرد بما يتناسب مع هذا العنف. حينها لا يكفي أن نفكر في كيفية إجهاض مفعول أداة القمع، بل في كيفية إجهاض الهدف من القمع، ثم تحويل الضربات القمعية إلى ورقة فعالة رابحة في يد المقاومة.

إن خطوة البداية تكمن في فهم عقلية مدبر القمع، وهو ما عبر عنه روبرت غرين قائلاً: "ينبغي ألا يكون هدف استراتيجيتك مواجهة جيش ما، بقدر ما هي مواجهة العقل الذي يقف وراءه، وإذا فهمت كيف يعمل هذا العقل، تمتلك مفتاح الخداع والسيطرة.¹

هدف القمع

وتتنوع أهداف القمع بحسب كل حالة، وهنا يأتي دور المخططين في المقاومة لمحاولة تحديد الهدف الفعلي من القمع، بحيث يمكن بعد ذلك تحديد كيفية التعامل معه بأفضل طريقة تقطع الطريق على هذا الهدف، بل وتصب في صالح المقاومة.

ومن هذه الأهداف على سبيل المثال:

التخويف: تخويف المحتجين والمجتمع من المشاركة في عملية التغيير، حتى لو كانت المطالب عادلة.

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص10.

التأديب والانتقام: فقوى القمع أحياناً تأخذ الأمور بمحمل شخصي، لتدخل في عملية انتقام شخصية من أشخاص بعينهم. بسبب كلمة نابية، أو إشارة بذئثة صدرت من أحد المحتجين. مما يترتب عليه توقيع عقوبة قاسية، وربما أحياناً بدون أوامر من قيادات القمع.

كسر المعنويات: وإشعار المقاومة وعموم الناس باستحالة التغيير.

عزل القيادات: عن طريق اعتقالها واختبار قدرة الحركات على مواصلة أنشطتها وأعمالها. وقد يكون العزل من خلال استهداف السمعة والتشكيك في الولاءات. حينها يتشكك عموم المشاركين في جدارة القيادة، بل وأحياناً في مشروعية هدف المقاومة.

الحصول على معلومات: حول جاهزية المقاومة للتعامل مع القمع، أو معرفة خططها من خلال اعتقال بعض المشاركين أو القيادات.

حماية مناطق ومنشآت: فقد يكون الهدف هو منع المحتجين من الوصول إلى أماكن محددة بغرض حماية منشآت لها أهمية.

جر المقاومة للعنف: فعادة ما تجد أجهزة القمع صعوبة في التعامل مع الأنشطة اللاعنيفة، حيث أن معظم أسلحتها وتدريباتها وطريقة تفكيرها تقوم على التصدي لأعمال عنف. هنا تقف عاجزة أمام عمل شعبي يتنامى، فتسعى لتسديد ضربات عنيفة لجر المقاومة للعنف، لعزلها عن الشارع من جهة، ودفعها إلى اللعب بقواعد العنف التي تتقنها الأجهزة القمعية، بل وتتفوق فيها. وفي بعض الحالات تسهل قوى القمع للمقاومين الحصول على السلاح.

القتل والإبادة: بعض النظم الدموية لا تتورع عن إبادة وقتل الشعوب، كما يحدث في التصفيات العرقية. حين يصل القمع إلى حد القصف بالطائرات

والمذابح الجماعية.. الخ.

هدف المقاومة

«لا تفعل أبداً ما يتمنى خصمك أن تفعله».. تلك هي حكمة نابليون القديمة، لذلك يتركز هدف المقاومة في النيل من هدف القمع. وبناء على هذا الهدف تتحدد كيفية التعامل مع القمع. فإن كان الهدف هو تخويف المحتجين يكون الرد الأساسي باستمرار الاحتجاج وإن تنوعت أشكاله، وأحياناً يساهم في كسر حاجز الخوف تقديم نماذج الاستبسال والصمود وتحدي آلة القمع بصدر عار.

وإن كان الهدف تخويف عموم الناس من المشاركة، تكون الدعوة لأنشطة لا يحدث فيها اشتباكات مثل البقاء في المنزل وعدم الذهاب للعمل، أو الامتناع عن دفع فواتير، أو عمل مسيرات في الأحياء بعيداً عن أعين الأمن.

وإن كان الهدف هو جر المقاومة للعنف، حرصت الحركة أشد الحرص على سلميتها وحصار العنف قدر المستطاع، وتجنبنا أشكال وأماكن الاحتجاج التي يُتوقع فيها صدام مباشر، واستعدت لتأمين المنشآت التي قد يتم مهاجمتها من قبل المتظاهرين الغاضبين.

وإن كان الهدف حماية المنشآت، يجب التأكد من مدى أهمية أو ضرورة الذهاب لتلك المنشأة أو استخدام تكتيكات تقلل التوتر كما سنذكر لاحقاً.¹

وإن كان الهدف عزل القيادات، تعتمد الحركات أسلوب اللامركزية بحيث لا يكون مشروع التغيير مرهوناً بقيادات بعينها.

وهكذا يتم الرد على كل هدف من أهداف القمع باستراتيجية مضادة. وهو ما

1 انظر فصل "التعامل مع القمع المحدود".

يجعل التفكير في كيفية التعامل مع وسائل القمع ذاتها خاضعاً للاستراتيجية المتبعة. فهي التي تملّي تجنب الرد، أو تحمل الضربات، أو تفويت الفرصة على حدوث اشتباك من خلال تكتيكات اللاتعاون بدلاً من التدخل المباشر.

هدف القمع	استراتيجية المقاومة
التخويف	• الاستمرار. • الاستبسال وإيجاد نماذج تتحدى بلا عنف. • دعوة الناس لأنشطة لا يُتوقع فيها اشتباك مثل جمع التوقيعات.
التأديب والانتقام	• تجنب تحويل الخصومة العادلة إلى خصومة شخصية مع القائمين بالقمع. • الاعتراف بالأخطاء في حالة حدوثها.
كسر المعنويات	• رفع المعنويات وإبداع استراتيجيات ووسائل جديدة. • تحقيق نجاحات جزئية تجعل الناس تؤمن بإمكانية التغيير.
عزل القيادات	• إيجاد قيادات ميدانية بديلة. • اعتماد اللامركزية.
جمع معلومات	• تأسيس حركات قائمة على العلانية. • توفير الحد المعقول من المعلومات.
حماية منشآت	تجنب المنشآت الحيوية، أو الاحتجاج بأساليب تنزع

التوتر.. الخ	
التمسك التام بالسلمية وحصار العنف.	جر المقاومة للعنف

جدول 2: نماذج لأهداف القمع واستراتيجيات مقترحة

للتعامل مع كل هدف.

* * * *

القاعدة الثالثة

ادرس الأرض جيداً

إن الثبات على الأرض وقت الشدة يرجع في جزء كبير منه إلى الدراسة الجيدة للأرض، ومعرفة ما تمنحه للمقاومين وما تسلبه منهم، فليست كل أرض تعمل لصالحهم، وليست كل أرض تحتفي بخصومهم.

فوائد دراسة الأرض

1. تحديد المكان المفضل لعمل النشاط.
 2. تحديد طبيعة (شكل ومدة وتفاصيل النشاط).
- وندرس في الأرض التالي:
- التركيبة السكانية (الثقافية - الدينية - الاجتماعية).
 - التضاريس (شوارع - منشآت).

التركيبة السكانية

فمن المهم معرفته:

* التشريع الثقافي والسياسي والديني والاجتماعي للمجموعات التي تسكن على الأرض التي سيأتيها المقاومون لعمل أي نشاط. ومدى اتفاقهم مع القضية التي يطرحها المحتجون. ومعرفة أهم الاحتياجات التي تشغل بال أهل المنطقة.

* الذاكرة التاريخية للمنطقة من حيث قبولها أو رفضها للوجود الاحتجاجي المتعلق بهذه القضية. وقد لا توجد مشكلة في المنطقة، ولكن هناك شارع محدد فيه بيت شخص لديه ثأر مع المقاومة، في هذه الحالة يجب التفكير في التعامل مع هذه الحالة وعدم تركها للمصادفة.

* درجة الحدة في التعامل من حيث العنف والاشتباك، فالمناطق الأرستقراطية تختلف عن المناطق الشعبية في ردة الفعل.

التضاريس

تضاريس طبيعية: مثل التلال والجبال والترع والأنهار.

الشوارع: طبيعة الشوارع هل هي واسعة أم ضيقة، هل تتفرع منها أزقة وحواري أم شوارع واسعة، ما هي أفضل المخارج في حالة الهروب أو الاعتداء. ويدخل في دراسة الشوارع درجة الميل، وسهولة الصعود والهبوط. وتأثير الشارع في بقية الشوارع (شارع مركزي أم فرعي). كما يدخل في ذلك وجود إشارات المرور الضوئية من عدمه. وحجم الكثافة المرورية فيه.

الميادين: هل يوجد ميدان وما درجة أهميته في السيولة المرورية، والشوارع المؤدية إليه.

المنشآت

الكباري: يجب الحذر في المناطق التي توجد بها كباري، فغالباً ما تسيطر عليها قوات الأمن وترمي المتظاهرين من فوقها بقنابل الغاز أو الرصاص. وبالتالي فالتواجد في منطقة بها كباري يقتضي السيطرة عليها أولاً ثم إمكانية الدفاع عنها. أو يكون النشاط لفترة محدودة. وفي ذلك حكمة صينية قديمة، «إذا سبقك العدو لاحتلال المرتفعات، لا تتبعه، ولكن انسحب وأغره بالنزول ورائك».¹

المحلات التجارية: فمعرفة طبيعة المحال التجارية ونوعية الخدمات التي توفرها يفيد في الحوار مع أبناء المحلات، وربما شراء جميع المستلزمات منهم بدلاً من شرائها من منطقة أخرى، وذلك أدعى لكسبهم. وفي بعض الحالات يكون من الواجب أن تهتم مجموعة بالحوار معهم وطمأنتهم، وإعلامهم بتفاصيل مدة النشاط، والوقوف بجوارهم لحماية عقاراتهم، ثم توجيه الشكر لهم في النهاية.

المنشآت الخدمية: مثل محطات البنزين، يجب أيضاً التواصل مع القائمين

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص 65.

عليها، ومساعدتهم في حمايتها من أي مخربين يحاولون إشعال النيران فيها. دور العبادة: كالمساجد والكنائس والمعابد والأديرة وغيرها تعتبر «نطاقات سلام» لا يصح اقتحامها بأي حال، ومن دخلها كان آمناً طالما أنه يحتمي بها ولا يستخدمها لإيذاء أحد. كما أن حمايتها من العابثين واجب على المقاومين وأهالي المنطقة، إن كان يُتوقع اعتداء عليها.

العمارات السكنية: يراعى تأمين مداخلها حتى لا تستخدم للتصويب على المحتجين، وكلما شارك في ذلك أهل العمارة أنفسهم أو المنطقة كان أفضل، كما يراعى احترام سكانها أيّاً كانت آراؤهم.

منشآت عسكرية وأمنية: تُدرس جدوى التواجد في محيطها، وهل قضية الاحتجاج تمس الجهات العسكرية والأمنية أم لا، فإن كانت لا تمس فلا يُتوقع خطورة من الاقتراب منها، وإن كانت تمسها وجب الحذر والتفكير في كيفية التواجد.¹ كما تراعى الرسائل الموجهة لهم في حالة أنها تمسهم، بالإضافة إلى مراعاة إجراءات حمايتها في جميع الحالات. والإعلان بوضوح عن عدم استهدافها، وإلقاء التحية على الجنود والضباط في الطريق، ونزع التوتر من الموقف. منشآت أخرى: سينما - مدارس - الخ. تدرس كل منشأة على حدة وتحدد أفضل طريقة للتعامل معها.

كيفية التفكير في التعامل مع المنشآت

الاستثمار: يتم رسم خارطة بكافة المنشآت وتحديد أفضل صيغة لاستثمار المنشأة في إيصال رسالة المقاومة، ومن ثم يساعد المكان في إضفاء لمسة خاصة بالنشاط، فلا تتساوى الأنشطة في جميع المناطق. المنطقة التي بها مدرسة يمكن الوقوف أمامها ورفع لافتة «مدرسة التغيير»، وتقال من أمامها

1 انظر "استراتيجية الاقتراب الحذر" في فصل "التعامل مع القمع المحدود".

كلمة عن التغيير وهدفه وقيمة العمل السلمي، وإرشادات التظاهر، كما يمكن استثمار السور في رسوم الجرافيتي.. وهكذا ينظر لكل مكون من مكونات الشارع باعتباره قيمة مضافة للوحة النشاط يمكن استثمارها.

التجنب: بعض المنشآت قد يكون الأفضل تجنبها واعتبارها نقطة ضعف في اللوحة، وقد تهدد النشاط برمته، وقد يترتب بسببها استبعاد المكان، فلا تعقد فيه الأنشطة.

السكان	
البند	التفصيل
الحالة الاقتصادية	
التشريع السياسي	
التشريع الديني	
الموقف الفكري من القضية	
الموقف العملي من القضية	
التقدير النهائي للموقف	
الرسالة التي ستوجه لهم	
التضاريس	
التضاريس الطبيعية	
الشارع	
المنشآت	
التقدير النهائي للأرض	
الشكل النهائي للنشاط	المدة

	التوقيت	
	تفاصيل الأنشطة	
	طريقة الانسحاب	

جدول 3: جدول دراسة طبيعة الأرض يسجل فيه التوزيع السكاني، وفي النهاية يكتب التقدير النهائي للموقف العملي الواجب اتخاذه تجاههم، والرسالة المستوجه لهم. ثم يتم دراسة التضاريس بحسب مكوناتها، وفي النهاية يحدد التقدير النهائي للتعامل مع الأرض ومدى صلاحيتها، ويكتب فيه تصنيف الأرض من حيث إمكانية الاستخدام، والشكل النهائي للنشاط الأنسب.

تصنيف الأرض

بناء على دراسة العناصر السابقة جغرافياً وسكانياً، يمكن تقسيم الأرض إلى:

- درجة (أ): أرض تدعم طبيعة تضاريسها¹ ومنشأتها وسكانها العمل فيها.
- درجة (ب): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشأتها العمل فيها، بينما لا يدعم السكان ذلك (وسلوهم عدائي).
- درجة (ج): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشأتها العمل فيها، بينما لا يدعم السكان ذلك (لكن سلوهم سلبي غير عدائي).
- درجة (د): أرض سكانها يدعمون العمل فيها، بينما هناك مشكلة في التضاريس.

¹ الأرض التي تدعم تضاريسها العمل هي التي يمكن الوصول إليها بسهولة، ويمكن الانسحاب منها بسهولة، وتقل فيها نسبة التهديدات. ويسهل فيها توفير خطوط الإمداد. وهو أمر تقديره نسبي يمكن إعطاؤه درجة مئوية في حالة مقارنة مجموعة من الأراضي ببعض.

درجة (هـ): الأرض المستحيلة¹ (لا يمكن أن تبادر المقاومة بالتواجد فيها قبل قوات القمع).

ثم يتم دراسة نفس هذه العناصر من منظور القمع، وسنغير أسماء الدرجات لنتمكن من التمييز بينهما.

درجة (1): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشآتها وسكانها القمع فيها.
درجة (2): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشآتها القمع فيها، بينما لا يدعم السكان ذلك (وسلوكهم عدائي).

درجة (3): أرض تدعم طبيعة تضاريسها ومنشآتها القمع فيها، بينما لا يدعم السكان ذلك (لكن سلوكهم سلبي غير عدائي).

درجة (4): أرض سكانها يدعمون القمع فيها، بينما هناك مشكلة في التضاريس.
درجة (5): الأرض المستحيلة (لا يمكن أن تبادر قوات القمع بالتواجد فيها قبل أن تتواجد المقاومة).

ويمكن استخدام الجدول التالي لتحديد تصنيف الأرض من حيث الجاهزية:

5	4	3	2	1	القمع المقاومة
					أ
					ب
					ج

1 أطلق سان تسو على هذا النوع من الأرض "الأرض المعوّقة".

					د
					هـ

جدول 4: تحديد جاهزية الأرض، المحور الأفقي به تصنيف الأرض من منظور القمع، والمحور الرأسي به تصنيف الأرض من منظور المقاومة، فقد تكون الأرض داعمة للمقاومة، وداعمة أيضاً للقمع، وقد تكون الأرض في تضاريسها تخدم القمع ولا تخدم المقاومة.

القمع المقاومة	1	2	3	4	5
أ					
ب					
ج				ج4	
د					
هـ					

جدول 5: الأرض (ج4) تعني أنها من الدرجة (ج) من منظور المقاومة ومن الدرجة (4) من منظور القمع، فهي بالنسبة للمقاومة مناسبة تضاريسياً بينما سكانها غير مؤيدين لكنهم غير عدائين، بينما لقوى القمع السكان يدعمون القمع، لكن التضاريس غير مناسبة. ومن ثم فرهان المقاومة هنا في اختيار الأرض سيكون على نقطة ضعف قوات القمع من ناحية التضاريس (مثل الحارات الضيقة).

وبعد تحديد الخيار الأفضل في الجدول، يتم سد الثغرات في هذا الخيار من

خلال الأنشطة، فإن كان السكان غير داعمين لكنهم غير عدائيين، يمكن إجراء اتصالات معهم قبلها، أو الاهتمام بالقيام بأنشطة موجهة لهم خصيصاً مثل تقديم الحلول وإلقاء التحية .. الخ.



ضوابط عامة

* دراسة الأرض تعني التفكير في كل العناصر السابقة، ثم تحديد أفضل الطرق للتعامل مع البشر والمكان.

* في حالة غياب المعلومات يتم انتداب فرقة استطلاع للتعرف على المنطقة.

* دور الشرطة حماية المنشآت، هذا هو الأصل، أما في أحوال الصراع مع الديكتاتوريات فلا توجد قواعد تحكم. وينبغي للمقاومين أن يضعوا في حسابهم أن الشرطة قد لا تحمي المنشآت، ومن ثم يكون لديهم البديل الذي لا يفسد عليهم عملهم. وفي هذه الحالة فإن المسؤولية الأخلاقية والعملية للمقاومة تفرض عليهم وحدهم تأمين أنشطتهم. وهي مسؤولية تختلف عن المسؤولية السياسية والقانونية.

إن الوعي بأهمية دراسة الأرض ضروري للقيام بأنشطة ناجحة، ويبقى الكثير من المخاطر. وكما أن الأرض الزراعية تتطلب رعاية حتى تؤتي أطيب الثمار؛ فإن الأرض في عالم المقاومة يجب أن تُحرث بشكل جيد حتى تترعرع فيها أزاهير التغيير. وتكمن عبقرية المقاومة في أن تجعل الأرض تلين لها، فتحثوي المقاومة وتضمها وتحرسها من كل سوء.

* * * *

القاعدة الرابعة

لا تضع النواة الأساسية في
معركة مباشرة مع الخصم

في بداية تأسيس الحركات، يكون من الأفضل الحفاظ على النواة الأولى، القدرة على التخطيط وتدريب الكوادر، ومن المفيد عدم إظهار قوتها، أو لفت الانتباه إليها. وأي نشاط للحركة في البدايات ينبغي أن يهدف إلى زيادة الموارد (البشرية والمالية)، لا وضع الحركة في معركة مصيرية. لا تتسرع في الهجوم، وتذكر أن إمكاناتك الهجومية مرتبطة بقدراتك الدفاعية. فكيف ستتمكن من حماية هجومك؟!

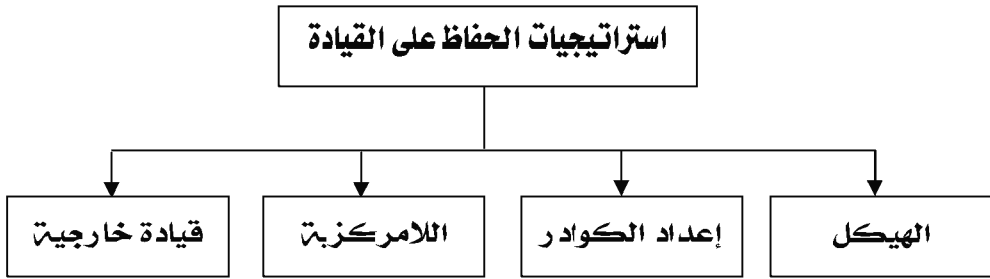
وكما تبحث قوى التغيير عن نقاط ضعف خصومها، عليها أن تعلم أن خصومها كذلك يترصدون بها، ويحاولون استهداف الدعامات الأساسية التي تقف عليها الحركة، مثل القيادة والتمويل والدعم الشعبي.

إن الشباب المدرب الواعي هم رأس مال أي حركة، فهم الذين أنفقت عليهم آلاف الساعات حتى يصلوا إلى هذا المستوى، لذلك كان من المهم وضع استراتيجية لحماية القيادات - خاصة في البدايات في حالات الأنظمة القمعية التي لا تسمح بهوامش حرية كبيرة للحركة. ومن هذه الاستراتيجيات:

الهيكل الوهمي: وتكون الحاجة إليه فقط في الأنظمة الديكتاتورية الشديدة القمع، حيث يتم إعلان أسماء قيادات تلعب دوراً حقيقياً في الحركة لكنها ليست هي القيادة الفعلية التي ترسم المسارات، وفائدة إعلان الهيكل الوهمي ألا تظل قوى الأمن في حيرة تبحث عن القيادة، فتوفر المعلومات أحياناً يكون أحد خطوط الحماية.

إعداد الكوادر: حيث يكون هناك اهتمام بالإعداد القيادي للكوادر المؤهلة للقيادة، فتكون عملية صناعة الكوادر القيادية الكامنة مستمرة، خاصة في فترات الهدوء والرخاء. لتصبح مدربة على تولي القيادة والتوجيه في وقت الأزمات.

اعتماد اللامركزية: فيكفي القيادة وضع الخطوط العريضة للمرحلة، بينما تتحرك الحركة بكل مرونة في إبداع وسائل تحقيق هذه الأهداف، وبالتالي يمكن تواجد القيادة في الداخل أو الخارج. كما يمكن بناء قدرة الحركة على الاستمرار باعتماد أسلوب مجموعات العمل، من خلال إجراء تجارب ميدانية تختبر فيها الحركة قدرتها على العمل في حالة غياب القيادة، أو في حالة أن التوجيهات تكون من خلال صفحة على الإنترنت، ثم تُدرس بعد التجربة الأخطاء والسلبيات التي وقعت فيها الحركة. وتحدد طبيعة الأنشطة التي بإمكانها القيام بها إن غابت القيادة، والأنشطة التي يتعذر عليها القيام بها. إيجاد قيادة خارجية: خارج البلد، تظهر في حالة الضربات القوية لتكون ممثلاً للحركة، إن تطلبت الاستراتيجية ذلك.



شكل 8: استراتيجيات الحفاظ على القيادة في البدايات تتنوع ما بين وجود هيكل وهمي، وإعداد كوادر، ولا مركزية في الحركة، مع إيجاد قيادة خارجية. كل ذلك يساهم في حماية (القيادة) كوظيفة ضرورية للحركة، وليس فقط كأشخاص.

وبصفة عامة فإن تأمين دور «القيادة» بغض النظر عن أشخاصها أمر ضروري لاستمرار الحركة. ومن المهم أن يكون جزءاً من برامجها التدريبية العملية التخطيط لشكل التحرك في حالة غياب القيادة العامة أو الميدانية. إن التدريب

على العمل في حالات الطوارئ يقي الحركات الضغوط النفسية التي تتعرض لها أوقات الأزمات، كما يتيح لها اختبار نظام العمل في تلك الحالات.



القاعدة الخامسة

احم نفسك وترقب
خطأ خصمك

يقول سان تسو: «تقع مسؤولية حماية أنفسنا من الهزيمة على عاتقنا نحن. أما هزيمة عدونا فتحدث نتيجة خطأ يقع فيه»¹. فاحم نشاطك جيداً بالتخطيط، واحمه في أعين الناس من التشويه، وانسجم مع ثقافة المجتمع وتقاليده. وحين يخطيء خصمك في التعامل معك؛ حينها تكون ساعة النصر قد اقتربت.

وتنقسم الحماية إلى قسمين:

• حماية نقاط الارتكاز.

• حماية الأنشطة.

حماية نقاط الارتكاز

ونعني بها حماية المفاصل التي تقوم عليها الحركة، والتي إن سقطت انهارت الحركة أو تأثرت بدرجة كبيرة. مثل القيادة، ومصادر التمويل، وشبكة العلاقات، ونظام الاتصالات، والصورة الذهنية لدى الشارع. وتختلف نقاط الارتكاز بحسب وظيفة كل مجموعة أو حركة، فإن كانت هناك مجموعة متخصصة فقط في التصوير، فإن المصورين ومعدات التصوير، ستكون من نقاط الارتكاز الأساسية التي بدونها لا وجود للمجموعة. وإن كانت مجموعة وظيفتها تنظيم المظاهرات فإن من نقاط الارتكاز مجموعات التأمين والحماية، والأشخاص الذين لديهم قدرة على الهتاف، والمصورين.

ومن المفيد للحركات أن تدرب مجموعات العمل لديها على الحماية الذاتية لنقاط ارتكاز كل مجموعة، بحيث تكون كل مجموعة قادرة بذاتها وبشكل مستقل على أداء عملها بنظام فعال وآمن.

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص 25.

حماية الأنشطة

وتكون حماية الأنشطة بمجموعة من الإجراءات:

قبل النشاط: مثل التخطيط الجيد واختيار التوقيت والمكان السليم.
أثناء النشاط: من خلال الانضباط والالتزام بالخطة وعدم الانجرار في ردود الأفعال الخاطئة. والتأكد من وصول رسالة النشاط بوضوح لكل الأطراف المعنية.

بعد النشاط: بالتعامل السريع مع أي أخطاء حدثت، والتعامل مع أي تشويش في وصول الرسائل إلى الأطراف المستهدفة.

ومع الاهتمام بالحماية والدفاع فيجب الانتباه إلى أن المقاومين يصعب أن يظلوا في حالة دفاع، وإلا سيقون في خانة رد الفعل، ولكن المقصود أن الهجوم يفضل أن يكون مرهوناً بخطأ يرتكبه الخصم، وإلا تحول في الوعي الشعبي إلى عدوان. كما أنه مرتبط بثغرة يمكن النفاذ إليه منها، مثل مجزرة دموية، أو كذب واضح.

فليس المقصود هو البقاء على الحالة الدفاعية، وإنما تحين فرصة خطأ الخصم للهجوم عليه. وهنا يجب حماية هذا الهجوم، لأنه بدوره قد يحمل في ثناياه أخطاء تمكن الخصم من استثمارها. لذلك كان الهجوم مرهوناً بالقدرات الدفاعية، وبالمعرفة الجيدة بالإمكانات، وتذكر أن «علمك بعدوك يعرفك كيف تدافع، وعلمك بنفسك يعلمك كيف تهاجم. الهجوم هو سر الدفاع، والدفاع هو التخطيط للهجوم»¹.

والدفاع عن الهجوم يشمل:

- التعرف الجيد على الذات وقدراتها.

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص 24.

- التعرف الجيد على الخصم وقدراته.
- التخطيط الجيد. واختيار الزمان والمكان والوسائل المناسبة ومراعاة عنصر المفاجأة والمراوغة.
- الانضباط الكامل.
- التدريب والثقافة المتعلقة بحرب اللاعنف، التي تصنع وعياً جمعيّاً بهذا الأسلوب في التغيير.
- الالتزام بالمسار السلمي وعدم الرد على الخصم بنفس وسائله.
- أن يتناسب مع الحماقة التي مارسها الخصم، ولا يتحول بدوره إلى طغيان، من خلال التورط في ردود أفعال تفوق جرائم الخصم.
- أن يكون هناك رضا شعبيّاً به. (حتى غير المؤيدين للقضية لا ينكر عمومهم الوسيلة المستخدمة).
- اختيار الخطاب الجماهيري ببراعة.
- اختيار الوسائل المناسبة التي تزيد من دعم الناس.
- سرعة معالجة الأخطاء، فلا تُترك لتتحول إلى منصة هجوم من الطرف الآخر. (مثال: إن ظهر أشخاص لديهم الرغبة في تحويل المسيرات السلمية إلى اتجاه عنيف يتم التعامل معهم سريعاً وإبعادهم عن المسيرة، وتحذير الناس منهم).
- الاستعداد للسيناريوهات المتوقعة لرد الفعل المضاد من السلطة على الهجوم.
- وضع خطة «الانسحاب المشرف»، للجوء إليها إن استدعى الأمر. فليس من الحكمة تعريض المقاومين للتهلكة. حدد نهاية المعركة، واستراتيجية الخروج، وتجنب المعارك التي لا يوجد بها مخارج واقعية.¹

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص12.

اسم المعركة:			
الأهداف			
الهدف		معيار الإنجاز	
الهجوم			
تكتيك الهجوم	التدريب اللازم	الوسائل المستخدمة	المجموعات المنفذة
نقاط القوة		أساليب دعمها	
نقاط الضعف		أساليب حمايتها	
السياسات			
حصار العنف	تأكيد السلمية	الخطاب الشعبي	
السيناريوهات			
سيناريوهات ردود الأفعال		السيناريوهات المضادة	
من قوات القمع			
من النظام			

		من المنافسين
		من عموم الناس
نهاية المعركة		
		متى تنتهي؟
		خطة الانسحاب المشرف

جدول 6: يبين التخطيط الدفاعي للهجوم، وتظهر فيه الأهداف مع وضع معيار ومؤشر يدل على تحقق الهدف، ثم يتم تحديد تكتيكات الهجوم والمجموعات المنفذة لها، والوسائل المستخدمة لتنفيذ التكتيكات والتدريب اللازم لها، ثم تحدد نقاط القوة في الهجوم وكيفية دعمها، ونقاط الضعف التي قد تأتي منها الأخطاء وكيفية حمايتها. بعد ذلك توضع الكيفية التي سيتم بها حصار العنف، وتأكيد السلمية، ودقة وتحديد الرسالة من النشاط للشعب، وكيفية توصيلها ميدانياً، ثم يتم تحديد السيناريوهات المتوقعة كردة فعل للنظام، ويوضع أمام كل سيناريو آخر مضاد، وأخيراً يجب تحديد متى تنتهي المعركة؟ وما خطة الانسحاب المشرف في حالة الحاجة إليها.

الانسحاب المشرف

عادة ما تتبادر إلى الذهن معاني الهزيمة والجبن إن ذكرت كلمة «الانسحاب»، لكن الانسحاب أحياناً يكون هو القرار الأفضل. فالقائد الماهر هو الذي يعرف متى يبدأ ومتى يتوقف ومتى ينحسب، بناء على تقديره لجدوى استمرار المعركة، لأن الاستمرار في معركة خاسرة لن يفيد المقاومة أو المجتمع في شيء، ودور القائد أن يخوض معاركه بأقل الخسائر المادية والبشرية.

وحتى على المستوى الفردي، فرغم أهمية الإقدام والمجازفة؛ إلا أن

المقاوم ينبغي أن يكون حذراً، لا يعرض نفسه للخطر بدون ضرورة، فيتخذ كافة الاحتياطات الممكنة لاجتناب النهاية غير الموفقة أو الهلاك.¹ لذلك يوطن نفسه على المراوغة والهروب وألا يجعل نفسه يباد.²

«إن التراجع في وجه عدو قوي ليس علامة على الضعف؛ بل على القوة، فحين تقاوم إغراء الرد على معتدٍ، تشتري لنفسك وقتاً ثميناً: الوقت لتتعافى، لتفكر، لتكسب مسافةً تساعدك على رؤية الصورة الشاملة».³

إذن ليست المشكلة في الانسحاب إن كانت الضرورة تقتضي ذلك، بل أحياناً تكون المشكلة في عدم الانسحاب. لكن كيف يمكن الانسحاب بأقل الأضرار المعنوية والمادية؟!

* تحديد إشارة الانسحاب، مثل رفع لافتة محددة، أو راية كبيرة مخصصة لذلك. وليكن مثلاً مكتوب عليها «ثورة العقول»، أو «الانتصار هو الخيار الوحيد».

* الانسحاب المفاجيء أو التدريجي بحسب الحالة، ويمكن للون الراية أن يعبر عن ذلك.

* لا يفضل الاعتماد في خطط الانسحاب على التواصل عبر الهواتف تحسباً لضعف الإرسال أو انقطاعه.

* الختام الرسمي: يمكن ختام النشاط بشكل مقصود مثل إلقاء كلمة، أو أغنية محددة. وبالتالي يظهر وكأن المتظاهرين بالفعل قرروا ختام نشاطهم بمحض إرادتهم، وليس بشكل ارتجالي عفوي.

1 تشي جيفارا، مباديء حرب الغوار، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1998، ص 40.

2 نفس المصدر السابق، ص 16.

3 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط 1، 2009، ص 10.

* تكتيك «الانشطار»: حيث يفتت النشاط الكبير إلى المزيد من الأنشطة المتفرقة المتنوعة، خاصة في حالات التفريق بعنف، مثل أن يلصق كل مشارك وهو يجري صورة صغيرة (متفق عليها) على الجدران، فإن كان الحضور ألف فسيختم النشاط بلصق ألف صورة. أو يلتقي المتظاهرون فوق جسر محدد أو في مكان محدد يكون للتواجد فيه رمزية واضحة. أو يتفرقون كمجموعات في وسائل المواصلات يغنون ويهتفون، أو يتشرون بأعداد رمزية في الميادين يرفعون لافتاتهم. وبذلك يخرج المتظاهرون بمعنويات مرتفعة، فقد انسحبوا ولكن بعد أن أزعجوا خصومهم.

* تكتيك الإخلاء الخادع: وفيه يعقب الانسحاب وصول رموز لها وجاهة اجتماعية من سياسيين، وبرلمانيين، وصحفيين، الخ، وكأنهم امتداد للنشاط، وبذلك يكون الانسحاب أقرب إلى إخلاء الساحة من المشاركين لتحل محلهم مجموعة أخرى أكثر نوعية من حيث إمكانية التعامل القمعي معها. كمن يستبدل سلاحه بآخر، فسلح المجموعات النوعية تم استخدامه بدلاً من سلاح عموم الناس.

* تكتيك الإلهاء: من خلال تقدم مجموعات للصفوف الأمامية، تشغل قوات القمع في التعامل معها، في حين تكون المجموعات الأخرى قد انسحبت، وبالتحديد الأشخاص أو المعدات (مثل المعدات الصوتية) التي يجب الحفاظ عليها. كما يمكن أن تحاصر المجموعات التي تقوم بعملية الإلهاء قوات القمع من أكثر من اتجاه (مثل الشوارع الجانبية)، بحيث يمكن تشتيتها أطول فترة ممكنة. وغالباً ما تكون هذه المجموعات عرضة للاعتقال، لذلك لا يتم اللجوء إلى هذا التكتيك إلا

في الحالات التي تتطلب تغطية انسحاب أكبر قدر من المشاركين. مثل حالات الاقتحام الأمني التي تهدف إلى اعتقال أكبر قدر من المشاركين. تكتيك الانسحاب للأمام: وفكرته تحويل الأنظار إلى نشاط آخر، يفرض على الخصم وقف القمع، مثل إعلان مبادرة محرجة، تتطلب منه وقتاً للتفكير في رد عليها، ومن ثم تعطي المقاومة متسعاً من الوقت للتفكير أو للانسحاب وإعادة ترتيب الأوراق.

* يتطلب الانسحاب المعرفة الجيدة بالأرض،¹ ومعرفة المناطق المواتية للمحتجين والمعارضة لهم، بحيث تُبنى خطة الانسحاب على هذا الأساس.

* تتطلب هذه التكتيكات معرفة المتظاهر دوره جيداً في حالة الانسحاب، وبالتالي فهو أثناء الانسحاب لا يفكر في الماضي، وإنما يتطلع للمستقبل، لا يفكر في النشاط الذي انتهى بل مشغول بالنشاط اللاحق الذي سيبدأ. فهو لا يرى في الانسحاب نهاية للنشاط، بل الارتقاء به إلى مستوى آخر. فعملية الانسحاب في حد ذاتها تحولت إلى نشاط مثير.

* يمكن لكل مجموعة صغيرة أن تتفق على شكل الانسحاب الخاص بها في حالة أنها مجموعات لا تنتمي إلى حركة، ومن ثم فهي تتصرف من تلقاء نفسها.

* يكون الانسحاب في معظم الحالات في شكل مجموعات تحسباً لاعتقال أو مضايقة من يسير بمفرده.

* وجود فرقة لتأمين الانسحاب، تخبر المحتجين بأفضل الممرات أو الشوارع التي يتم الانسحاب منها.

1 انظر القاعدة الاستراتيجية الخاصة بدراسة الأرض.

القاعدة السادسة

اختبر خطط خصمك واختبر
قدراتك على الدفاع والمناورة

المقاومة في حاجة دائمة إلى التعرف على التكتيكات الجديدة لدى قوى القمع، وهذا يتطلب منها أن تقوم بأنشطة استطلاعية، تهدف إلى معرفة السياسات القمعية في المرحلة الراهنة. هذه السياسات لا تكتب أو تنشر في الغالب، ويمكن معرفتها من خلال:

* التواصل مع بعض الضباط.

* التجربة العملية والاختبار.

* فرق جمع المعلومات.

أولاً: التواصل مع الضباط

سواء بشكل ميداني أثناء الأنشطة، أو من خلال الصداقات التي تكون بين ضباط وأعضاء في الحركة، أو من خلال التحقيقات، حيث يعتمد المحققون أحياناً إيصال سياستهم القمعية الحالية إلى المقاومين.

ثانياً: التجربة العملية والاختبار

من خلال أنشطة تهدف إلى معرفة السياسات القمعية، مثل الدعوة للاعتصام أو التظاهر في مكان محدد ورصد ردود الأفعال الأمنية والاستعدادات، وفي هذه الأنشطة يكون الهدف:

* التعرف على رد الفعل.

* سرعة التحرك.

* حجم ونوعية القوات المحتشدة وطبيعة التسليح.

* المكان الذي تحركت منه القوات.

* الطرق التي تأتي منها.

* أماكن التجمع وطريقة توزيع القوات.

* القيادة الميدانية إن أمكن (ومعرفة مدى شدتها أو لينها).¹

* درجة التوتر والاستعداد لاستخدام العنف.

وبجانب المجموعات التي تمارس النشاط نفسه، تتواجد فرقة استطلاع قبل وأثناء وبعد النشاط في محاولة لتوفير المعلومات حول البنود السابقة. ويكون النشاط في النهاية هدفه أن يمكن هذه الفرقة من جمع المعلومات. فهو نشاط خادم لهذه الفرقة.

وتخضع طبيعة النشاط لنوعية وكم المعلومات المراد جمعها. فإن كان الهدف اختبار الجاهزية القمعية للعمل المفاجيء، يكون النشاط بدون إعلان مسبق، وإن كان الهدف اختبار الجاهزية في حالة المعرفة الكاملة بالنشاط يتم الإعلان عنه.

إن المعلومة تساعد كثيراً في اتخاذ القرار السليم، وفي حقن الدماء بشكل كبير. وفي تغيير الخطط بحيث تنسجم مع الواقع ومتغيراته.

1 في معظم الدول الديكتاتورية تكون القيادة الأمنية فردية، فلا توجد ديمقراطية في اتخاذ القرار، وهنا لا يكون تقدير الموقف وحده هو الحكم في اتخاذ القرار، وإنما طبيعة القيادة نفسها. فالتركيبة الذهنية والنفسية للقيادة تلعب دوراً كبيراً في مدى نهمة للقمع. وقد أورد روبرت غرين في كتابه قواعد السطوة نماذج لأنماط الشخصية منها:

المتكبر: يرد على أي شيء يشعره بالتجاوز أو الإهانة بعنف شديد. فإنه يحمل الأمور بمحمل شخصي، منتصراً لنفسه.

المرتاب: لا يرى الأمور إلا بالصورة التي يود أن يراها عليها، ويفترض في من أمامه أسوأ النوايا. وأن كل من حوله يتربصون به ويحاولون إيذائه، ويكون لديه اضطراب حقيقي، مما يجعل إمكانية التلاعب به، وتحويل شكوكه إلى آخرين.

الثعبان: هو صنف لا ينس ثأره، قد لا يرد مباشرة، فلديه قدرة على ضبط النفس، حتى تأتي الفرصة، فيمارس الانتقام دون رحمة.

البسيط المتبلد: يفسر حرفياً أي كلمة يسمعها، ويفتقد الخيال، ومن ثم يصعب خداعه، لأنه ببساطة لن يرى الطعم الذي ترميه له حتى يلتقمه، لن يؤذي أو يضر سوءاً، ولكنه سيهدر وقت من يفكر في خداعه.

اختبار القدرات الدفاعية

كذلك تفيد مثل هذه المناورات في تجربة التكتيكات الجديدة للتعامل مع القمع، واختبار أثرها وقدرتها على نزع التوتر، أو تقليل أثر الهجمات، بحسب الحالة، والغرض من المناورة، من أجل الوقوف على نقاط القوة ونقاط الضعف وتحديد مجالات التطوير. فالتدريبات النظرية والعملية غير كافية لاختبار التكتيكات، إذ ينبغي أن توضع على المحك العملي، لذلك كان التعلم الميداني في الواقع له دور كبير. فلا يكفي فقط اعتبار الجانب التقني، فأجواء الحماسة والخوف والإقدام والإحجام كلها تلعب دوراً كبيراً في إدارة العمل ميدانياً وطبيعة الأداء، وهو ما لا يُكتشف إلا بالممارسة العملية في أجواء الصراع.¹

ويخوض المقاومون هذه المناورات التجريبية في جو من المتعة، فقد أعدوا أدواتهم وخططهم الجديدة، وهم الآن بصدد تجريبيها ميدانياً، وأياً كانت النتيجة، فهم مستمتعون بأنهم على طريق الاحتراف.

ثالثاً: فرق جمع المعلومات

تعتمد عملية صناعة القرار السليم بشكل أساسي على توفر المعلومة الصحيحة، وللمقاومة أساليب متعددة لجمع لمعلومات منها:

* الأفراد الذين يتوددون لأناس مقربين من النظام أو بالفعل هم جزء من النظام.
* الصحفيون الكبار المطلعون على بواطن الأمور والقريبون من صنع القرار في السلطة.

* أفراد المقاومة الذي يخترقون الكيانات الأخرى. وغالباً لا يُظهر المخترقون ولاءاتهم الفعلية أبداً، سواء انتصرت المقاومة، أو كانت في محنة. فهؤلاء لا يغادرون مواقعهم أبداً.

1 الفريق سعد الدين الشاذلي، مذكرات حرب أكتوبر، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، سان فرانسيسكو، الطبعة الرابعة، 2003. نسخة إلكترونية، ص 7.

* قدامى رجال النظام، حيث تكون لهم علاقات مع أفراد في النظام من الداخل.

* هدايا الموالين للمقاومة والكامنين داخل النظام في كل قطاع. وهؤلاء يكون لهم دور في تسرب الكثير من المعلومات. وقد تكون هذه الهدايا المعلوماتية سببها تصارع أفراد أو أجهزة النظام، وليس بالضرورة الولاء للمقاومة. لكن أيضاً يُحذر من هؤلاء لأنهم قد يعمدون إلى تسريب معلومات خاطئة للتضليل. فهذا المصدر وحده أحياناً يكون غير كافياً.

* القرصنة الإلكترونية على المعلومات، مثل القرصنة على بعض الحسابات الشخصية للأفراد وتتبع رسائلهم، أو القرصنة على مراكز المعلومات الكبرى ويعتبر النموذج الأشهر في ذلك هو تسريبات ويكيليكس.¹

نصائح

* في حالات جمع المعلومات من أفراد، احرص على أن يبدو كلامك معهم

1 صاحب موقع "ويكيليكس" الإلكتروني هو جوليآن أسانج الذي بدأ معركته ضد وزارتي الخارجية والدفاع الأمريكيتين بهجمات إلكترونية بحجة السعي إلى فضح الحقيقة في شأن الحرب وأجهزة الاستخبارات والفساد على أعلى المستويات. أمضى عشرة أيام في سجن انفرادي و590 يوماً قيد الإقامة الجبرية في لندن. ويبيد أسانج اقتناعه بأن الولايات المتحدة تريد «الانتقام» منه. لأنه على حد قوله "هزم إمبراطورية برمتها.

كما يرى أنّ الدولة عبارة عن علبة تدخل إليها معلومات معينة، وتخرج منها أخرى. وداخل هذه العلبة، يتم إخفاء بعض المعلومات بعناية، إذ من الممكن أن تكون هذه الأخيرة مرتبطة بمسائل التعسف في استخدام السلطة، وبأعمال الظلم، وأمور الفساد. وأيضاً، إذا ما أراد المواطنون ممارسة سيطرة ديمقراطية على الدول التي ينتمون إليها، ينبغي أن يعلموا ما هي محتويات العلبة. بمعنى آخر: يجب أن تكون الدولة عبارة عن علبة شبه شفافة.

ويرى أنه من الصعب أن تنجح دولة في منع أي شخص يعمل لحسابها من الكشف عن الفضائح المخفية في أوساطها. (منقول من حوار مع مؤسس موقع "ويكيليكس"، وقد نشرت هذه الترجمة لموناليزا فريحة في مجلة الدوحة في عددها رقم 70، في أغسطس 2013. وأصل الحوار منشور في مجلة PHILOSOPHIE الفرنسية، في عددها رقم 70).

أقرب لثرثرة كلامية وليس لقاء جمع معلومات، فلا يجب أن تكون مكشوفاً في تركيزك على المعلومات المهمة، وإلا فإن أسئلتك ستكشف عنك وعن نواياك، أكثر مما تمنحك من معلومات عن الآخرين.¹

* لا تتخدع بالمظاهر، فمن لديه قلب أفعى قد يظهر الطيبة حتى لا ينكشف أمره، ومن تراه كثير التهديد والوعيد قد يكون في حقيقته جباناً.²

* لا تعتمد على إحساسك وفطنتك في تقييم خصومك، فسوف ترتكب أخطاءً مزعجة إن اعتمدت على المؤشرات غير الدقيقة، لا شيء يغني عن المعلومات الدقيقة، فخذ ما شئت من الوقت مهما طال في التعرف على خصمك.³

* لا تفترض في خصمك ما يريح قناعاتك الأساسية، مثل الخيانة. احرص على أن تبني قناعاتك على معلومات صحيحة، وانظر في الأسباب التي تدفعه لممارسة السلوك الذي ترفضه. كن مرناً قادراً على تغيير أفكارك بدلاً من أن تخوض معارك وهمية. وتجنب أولئك الذين يرددون ما استقر في ذهنك، واحرص على الاستماع الجيد للمخالفين.

* لا تحجب مخالفيك في مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت، بل احرص على معرفة كيف يفكرون، واحرص على متابعة الصفحات الرسمية.

* * * *

1 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولى، 2011، ص 181.

2 نفس المصدر السابق، ص 179.

3 نفس المصدر السابق، ص 234.

القاعدة السابعة
أفقد الخصم قدرته
على التخطيط

من عوامل نجاح عمليات القمع قدرتها على توقع الخطوة القادمة للحركة، ومن ثم بناء خطط المواجهة، وتطوير برامج التدريب والإعداد والتأهيل للقوى الأمنية لتنفيذ هذه الخطط، أو تفعيل خطط الطوارئ المتاحة بالفعل، والتي يتم تدريب قوى الأمن عليها بشكل دوري.

الهجوم أو النشاط المفاجئ وغير المتوقع الذي يخرج عن إطار خطط الطوارئ يجعل الخصم في حالة ارتباك شديدة، ويجعله يرتكب الكثير من الأخطاء، وهو ما يمهد الطريق أمام الحراك التغييري لتحقيق الانتصار.

ويمكن تحقيق ذلك من خلال:

استراتيجية التضليل: أو تشتيت ذهن الخصم، وشد انتباهه إلى اتجاه بينما الفعل الأساسي يحدث في اتجاه آخر مخالف تماماً. «فالأمر المتعلقة بالحرب تعتمد على الخداع، فعندما نستطيع الهجوم يجب أن نبدو وكأننا عاجزين عنه، وعندما نناور ونتحرك بالقوات يجب أن نبدو خاملين، وعندما نقرب يجب أن نجعل العدو يظن أننا بعيدين، وعندما نكون بعيدين يجب أن نجعل العدو يظن أننا قريبين».¹

استراتيجية السبق التكتيكي: وتعني عدم تكرار التكتيكات والوسائل الناجحة لأنها أصبحت متوقعة، ومن ثم فإن قوى القمع طورت من خططها وقدراتها بما يمكنها من التعامل مع هذا التكتيك ووسائله الناجحة. أما الوسيلة الجديدة حتى ولو كانت أقل إبداعاً إلا أنها تمثل تهديداً وتحدياً أكبر لقوى القمع. فوسيلة اليوم الجديدة ستكون غداً قديمة ويمكن توقعها. لذا لا بد أن تسبق المقاومة آلة القمع بخطوة واحدة على الأقل تكتيكياً، وأن تفقدها قدرتها على التوقع ومن ثم قدرتها على التخطيط والإعداد.

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص 15.

نأخذ مثلاً حالات التخطيط لاجتياح أماكن أو احتلال ميادين:

1 - إجبار الأجهزة الأمنية على تفريق قواتها وذلك بتوسيع وتعدد مسارح العمليات (أماكن التظاهر أو الاعتصام أو الإضراب أو غيرها). وهذا كفيل بتغيير ميزان القوة على المستوى التكتيكي بين قوى القمع والمقاومة.

2 - الابتعاد عن مسرح العمليات الرئيس (كالميادين الكبرى ومؤسسات الدولة التي يتم حصارها في لحظات الحسم)، ومحاولة تحقيق الفوز أولاً في المسارح الثانوية (كالجامعات والمناطق السكنية المزدهمة والأسواق)¹. مع الإبقاء على مجموعات في الميادين الكبرى لتشتت قوى القمع.

3 - استراتيجية التضليل: وذلك بتحديد مجموعة من المسارح الثانوية لكل مسرح عمليات رئيسي. فإذا كانت المقاومة تستهدف منطقة معينة بأحد الأنشطة، تخطط لمجموعة من الأنشطة الفرعية في المناطق المحيطة بتلك المنطقة لتشتت التوقعات الأمنية. فالقائد الماهر لا يخبر خصمه بأي الأماكن التي عليه الدفاع عنها.² فعندما تستهدف المقاومة منطقة في الشمال عليها أن توجه أنظار خصومها إلى الجنوب، وإذا كانت تستهدف الشرق فلتوحي لخصومها أنها تستهدف الغرب.

1 هذه النجاحات الجزئية في مسارح العمليات الثانوية تزيد من ثقة النشطاء والجماهير في قدرتها على المقاومة. ونقصد بتحقيق الفوز هنا:

- اكتساب المزيد من الجماهير المشاركة في تلك الأنشطة.
- اكتساب القدرة على المناورة بسلاسة بهذه الجموع الغفيرة.
- الصمود أمام الأجهزة الأمنية.

2 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص 36.

4- تحقيق السبق التكتيكي، وذلك بمحاولة ابتكار وسائل جديدة دائماً، وعدم اعتبار الوسيلة الناجحة هي نهاية المطاف، آخذين في الحسبان أن أجهزة القمع تطور من تكتيكاتها لتناسب مع تكتيكات المقاومة. ومثال ذلك التحول من الاعتصامات إلى الوقفات الصامتة، أو تظاهرات شرفات وأسطح المنازل.. الخ.

5- «إن كان الخصوم عدوانيين، فدعهم يتقدمون وانصب لهم الفخاخ ليقعوا في الخطأ، ويشنوا هجوماً متسرعاً ويقعوا في الفخ».¹ اصنع السراب، وجرهم إلى المكان الذي لا يجدون فيه أحداً، حيث تكون نقلت نشاطك في مكان آخر. ففي حالات الاعتصامات على سبيل المثال، يتم تسليط الضوء على مكان وهمي للاعتصام، وتظهر أمارات الاعتصام فيه، بينما التجهيز يكون لمكان آخر، أو ربما تكتيك مختلف تماماً غير الاعتصامات.

6- اعتمد استراتيجية «الليل الطويل»، التي تهدف إلى جعل قوى القمع في حالة إنهاك وتأهب مستمر تحسباً لظهور أي بوادر لفعاليات المقاومة، ومن تكتيكاتها «الغارات اللاعنيفة»، وفيها تبدأ مجموعة صغيرة الاحتجاج فجأة، وبعد أن تتصدى لها قوات القمع بعض الوقت، تقرر هذه المجموعة الانسحاب في موعد محدد، وعندما تهدأ قوات القمع وتظن أن النشاط قد توقف، يظهر احتجاج مفاجيء أضخم، تتأهب له قوى الأمن مجدداً، ثم تنسحب المجموعات بعد فترة. وبذلك يعتمد هذا النوع من الاحتجاج على المفاجئة والإنهاك وجعل القوات تتوقع ظهور والمقاومين في أي وقت، مما يمنعها من الاسترخاء البدني أو الذهني،

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص9.

ويجعلها دائماً واقعةً تحت ضغط الشارع، وضغط القيادات العليا السياسية أو الأمنية الغاضبة.

7- إذا كان التفوق واضحاً في حجم قوات الأجهزة القمعية مقارنة بحجم المشاركين في النشاط المقاوم؛ فأمام قيادة المقاومة:

* إما أن تنهك تلك القوات بسلسلة من الأعمال الهجومية الجزئية بغرض إنهاكها وتشيت صفوفها في عمل دفاعي، ثم تتبع هذه الهجمات الجزئية بهجوم كاسح مفاجئ غير متوقع.

* أو ألا تبادر بالهجوم، وإنما تنظم صفوفها وترقب هجوم خصومها، حينها لا بد من محاولة استيعاب وامتصاص زخم الهجوم وشله، ثم إتباع ذلك بهجوم مضاد لا عنيف ضد القوات التي أنهكت في عملية الهجوم وتشيت صفوفها بدرجة من الدرجات في مطاردة المتظاهرين.

* وفي الحالتين نحن نتحدث عن هجوم كاسح مفاجئ غير متوقع يلي عمليات الإنهاك والتشيت بما يقلب طاولة الوضع ميدانياً. ويقتضي هذا الهجوم وضع عدد لا بأس به من النشطاء والفاعلين في الخطوط الأمامية لتشجيع المشاركين على الاستمرار في المناوشات والهجمات الجزئية، مع وضع كتلة معتبرة كبيرة نسبياً من النشطاء والفاعلين في الصفوف الخلفية، وهي الكتلة التي ستندفع من الخلف بكامل نشاطها وعزمها إلى الأمام في اللحظة الحاسمة، رافعةً الأعلام، عاكسةً اتجاه الجموع المتراجعة، ومحمسةً ومشجعةً لها لتندفع خلفها في هجوم جري نشيط كاسح ومفاجئ.

8- في عمليات المقاومة المدنية لا يمثل الاحتفاظ بالمواقع أو حصارها

أمراً ذا قيمة كبيرة، اللهم إلا في لحظات الحسم الأخيرة حين يتم محاصرة أو احتلال ميادين كبرى أو رئيسية. ومن ثم فإن الوصول للتوازن الاستراتيجي مع قوات القمع النظامية وغير النظامية يقتضي اعتماد التيار المقاوم على الحركة الدائمة والسريعة والمفاجئة وغير المتوقعة.

وكما تدرس المقاومة هدف القمع، وتحاول فهم عقلية القيادة القمعية؛ فإن القيادة القمعية على الناحية الأخرى تفهم عقلية قيادة المقاومة من نمط الحركة المتكرر، وبالتالي تتوقع ردود الفعل والتكتيكات المستخدمة. لذلك اجعل قاعدتك «إن لم يفهم خصمك ما في رأسك، لن يستطيع أن يحاربه أو يتآمر ضده.»¹



1 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولى، 2011، ص 179.

ويجب التمييز بين الخداع التكتيكي الذي تكون فيه بعض الأسرار من باب استثمار عنصر المفاجأة، وبين سرية لحركة، فحركات العصيان تتسم بصفة عامة بالعلانية ووضوح التوجهات والأهداف والأنشطة.



القاعدة الثامنة

ارفع تكلفة القمع
على الخصم



يجب إقناع الخصم أن تكلفة استخدام القمع أعلى من تكلفة التخلي عنه، بأن تكون نتيجة استخدام القمع - بعد أن استثمرته المقاومة - هي زيادة التعاطف الشعبي والدولي، وتصعد معسكر الخصم.

ويضع قادة المقاومة اللاعنيفة نصب أعينهم هدفين أساسيين:

1. الحد من فاعلية أداة القمع وتحويلها إلى نقطة قوة للحركة التغييرية ونقطة ضعف للنظام (تجريد النظام من إحدى أدوات قوته والمتمثلة في القمع).
 2. تدريب النشطاء على كيفية التعامل مع القمع.
- وتحقيق هذين الهدفين يتطلبان من الحركة التغييرية أن تتبنى استراتيجية إيجابية. ولتوضيح المقصود من استراتيجية إيجابية سنتأمل هذا المثال:
- لو اضطر لاعب الدفاع في لعبة كرة القدم إلى عرقلة مهاجم الفريق المضاد داخل منطقة الجزاء، كيف ينظر كلا الفريقين لهذه الحركة؟

الفريق المدافع:

- 1 - الفريق المدافع اضطر إليها كمحاولة ربما يائسة لمنع تسديد الهدف.
- 2 - هناك نتيجة إيجابية ترتبت على هذا التصرف، ألا وهي تأخير الهدف وليس منعه. أو بمعنى أدق حوّل هذا التصرف مرتبة الفريق المهاجم من الفوز الأكيد إلى مرتبة احتمال الفوز.
- 3 - وهناك نتائج سلبية قد تترتب على هذا التصرف، مثل أن الهدف سيسجل حتماً لو أحسن الفريق المهاجم استثمار الفرصة، أو احتمال طرد لاعب الدفاع المعتدي، وحرمانه من المباراة القادمة أو على الأقل حصوله على الكارت الأصفر.
- 4 - قد لا يحسن الفريق المهاجم استغلال الفرصة فيهدر التسديدة، وعندها تصبح مخاطرة لاعب الدفاع مقبولة.

الفريق المهاجم:

1 - على الفريق المهاجم ضمان تسديد الهدف عن طريق اختيار أفضل لاعب تم تدريبه على تسديد ضربات الجزاء، وتنحية أي شعور بالأنأ أو المصالح الشخصية بعيداً من أجل مصلحة الفريق.

2 - هناك مكاسب أخرى ممكنة مثل طرد اللاعب المدافع، ومن ثم معاقبة الفريق المدافع واضطراره إلى أن يلعب بفريق أقل عدداً، أو الفوز الكامل بالمباراة عن طريق حجب الأهلية عن الفريق المدافع، وإخراجه من الدورة كلية إذا قام بالتصعيد ولم ينصع لأمر الحَكَم.

3 - أسوأ احتمالات الفريق المهاجم أن يضع كل هذه الفرص بسبب جهل أو أنانية أو سوء تدريب.

وهكذا فإن المطلوب من الحركة التغييرية إمعان النظر والتفكير في كيفية استثمار الأعمال القمعية لتحويلها إلى أداة فعالة في يد المقاومة والمجتمع في صراعه ضد الديكتاتور، وهنا يتحول القمع من وسيلة عقوبة للمقاومة إلى هدية تحيي الآلاف.



صورة 24: ترى كيف ينظر اللاعب في منطقة الجزاء لمنافسيه، هل يتمنى أن

يصوب هدفه بهذه الوضعية، أم يتمنى أن يطرحوه أرضاً؟! وهو مدرب على التعامل مع الوقوع بحيث يأخذ أكبر قدر من المكاسب. في هذه الحالة ربما لا يخشى اللاعب القمع، بل يتمناه، لأنه جزء من الخطة، ترى ماذا لو قام اللاعب مغضباً بعد أن وقع أرضاً وركل منافسيه؟ هل أضع فرصة ذهبية لإحراز هدف؟! لم يعرقله خصمه إلا لمنعه من تسديد الهدف، وهنا يكون الرد على العرقلة... تسديد الهدف.

هدايا القمع للمتظاهرين

قد يتصور المتظاهرون أن القمع يؤثر فيهم وحدهم، لذلك يشتكون غاضبين من فكرة «السلمية»، وأن القمع يجب الرد عليه. غير أنه على صعيد آخر يؤثر القمع بشكل كبير على النظام، خاصة إن تم التعامل معه من قبل المقاومين بشكل سلمي، مع ما يصاحب هذه «السلمية» من التغطية الإعلامية المناسبة. فلا يُنظر للقمع بأنه خصم من رصيد المقاومة، بل أحياناً يكون بمثابة الهدايا التي يقدمها لها النظام دون أن يدري. فكل قبلة غاز أو رصاصة أو اعتقال أو قتل، قد تترد أثرها لتصيب النظام في مقتل، وكأن النظام يصوب قمعه تجاه قلبه. فتحدث تأثيرات ضخمة على مستوى المقاومة وعلى مستوى النظام.

تأثيرات القمع على مستوى المقاومة

- صناعة رموز للمقاومة، سواء رموز تتعلق بالأماكن مثل اسم ميدان محدد، أو الأشخاص كالمصابين والمعتقلين والشهداء.
- توحيد المتظاهرين على اختلاف توجهاتهم لشعورهم بالخطر.
- اكتساب تعاطف قاعدة شعبية واسعة.
- انضمام المزيد إلى المقاومة.
- تعاطف المجتمع الدولي والضغط على حكوماته.

وإن تمكنت المقاومة من استثمار القمع لصالحها، بالالتزام بمنهج اللاعنف من جهة، والتغطية الإعلامية المتقنة من جهة أخرى، يتحول أثر هذه الضربات ليصيب النظام والدعامات التي يعتمد عليها.

تأثيرات القمع على مستوى النظام

القمع يصيب النظام في مقتل، حين ينتج عنه:

- تآكل الشرعية، فلا شرعية لنظام دموي.
- هزة في التأييد الشعبي، قد ينتج عنها انهيار مخيف في الدعامة الشعبية.
- تأثيرات اقتصادية سيئة، حيث تبدو الدولة غير مستقرة وغير صالحة للاستثمار أو التعاون الاقتصادي الدولي.
- تفتت معسكر النظام، حين يتبرأ بعض رموزه من أفعاله. خاصة حين تسيل الدماء دون مبرر مقنع.¹
- انهيار أو ضعف الدعم الدولي.

متطلبات الاستراتيجية

1. التفكير العميق في كيفية تحويل الإجراءات القمعية التي يلجأ إليها النظام من نقطة قوة يضبط من خلالها المعارضين إلى نقطة ضعف تمثل هاجساً مزعجاً له، وكيف يتحول القمع إلى أداة فعالة في يد الحركة التغييرية بحيث يتحول اعتقال أحد المقاومين مثلاً إلى مكسب للحركة وخسارة تخفض من رصيد النظام، ويعتمد حجم المكاسب على دهاء الفريق الاستراتيجي وإمكانياته في استثمار الأحداث.

1 لا يُنظر لمعسكر الخصم باعتباره كتلة واحدة، فالبعض يساند النظام من باب المصلحة، ولديه استعداد للتورط في أشياء كثيرة ليس منها القتل، وهناك من يساند النظام بهدف الإصلاح من داخله، وهناك من يسانده اقتناعاً بأفكاره وسياساته.. وهكذا.. مما يضع حدوداً لاحتمال تماسك هذا المعسكر إزاء مشهد إجرام النظام، خاصة إن تمسكت المقاومة بالمسار السلمي وتحملت في سبيل ذلك.

2. تحتاج مجموعات العمل إلى تدريب على التعامل مع أداة القمع، فيما كان نشطاء الحركة التغييرية - إذا كانوا مُعَدِّين ومُدرِّبين - أن يُحدثوا تأثيراً كبيراً من خلال تنسيق استراتيجيتهم في طريقة التعامل مع أدوات القمع كالضرب والحصار والاعتقالات والسجون والمحاكمات، وبتأثير لا يقل فاعلية عن الأنشطة التي أدت إلى اعتقالهم، من خلال تحويل أحداث القمع إلى أنشطة بل مهرجاناً للمقاومة.¹

وبذلك فإن تكلفة القمع (الخسائر) تصبح أعلى بكثير من المكاسب، وبالتالي لن يقدم النظام على مثل هذا العمل بسهولة، ويضطر إلى البحث عن أدوات أخرى للصراع السياسي.

3. العمل على توفير مساحة كبيرة من الحرية في تعامل النشطاء ومجموعات العمل مع الأحداث وتشجيع الإبداع، من خلال إمداد النشطاء بورقة استراتيجية توضح الخطوط والمبادئ الكبرى (تتناول أسس ومبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع، وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة، وتبين نوعية التصرفات التي تضر بالعمل)، ثم اعتماد اللامركزية ومجموعات العمل.

التوثيق والنشر الإعلامي: فالكاميرا هي كلمة السر، واللقطات البارعة الجريئة هي أصل الهجمة المرتدة التي يشنها المقاومون على القمع. ليس صحيحاً أن حرب اللاعنف تسير نحو التهلكة بدون سلاح، فسلحها الكاميرا

1 مثال: قد يقوم النظام باعتقال أحد رموز الحركة التغييرية.

مكاسب النظام: تحجيم نشاط هذا الفرد، وتوصيل رسالة إلى الحركة، وقياس رد فعلها، ومدى تضامنها في حالة استهداف أفراد من أطراف الحركة أو من القيادة.

خسائر النظام: تظاهرات مستمرة، حملة إعلامية شرسة، ضغوط خارجية، أصبح الفرد المراد تحجيمه رمزاً محلياً وعالمياً، السعي إلى محاكمة الجناة وعدم الاكتفاء بالإفراج عن المعتقل.

تحاصر به خصومها من كل اتجاه. لتواجه «قصف الرصاص»، بقصف
«العدسات».



صورة 25: المقاومة اللاعنيفة لا تقف مكتوفة الأيدي بدون
سلاح، فالعدسة تواجه البندقية.

* * * *



القاعدة التاسعة

لا تواجه الخصم حيث
تتركز قوته



لا تواجه حرب اللاعنف الخصم حيث تتركز قوته، وحيث يكون في المساحة القادر على الإبداع فيها، والتي يمتلك فيها الحق السياسي والقانوني وربما الأخلاقي لارتكاب جرائمه. فانتبه لأن الملعب المفضل للأنظمة هي ساحة العنف. أخرجهم من أرضهم التي يقفون عليها بثبات واتزان إلى صحراء رمالك المتحركة. اقطع مصادر القوة عن الخصم - والمتمثلة في الجماهير و الدعم المالي والدعم الدولي - قبل أن تدخل معركة مع مصدر القوة الأخير (الأداة القمعية).

كذلك من الناحية التكتيكية ابحث عن نقاط ضعفهم واستثمرها، وواجه نقاط ضعف الخصم بنقاط قوتك. ولا تعرض نقاط ضعفك لنقاط قوته. فإن كنت تتفوق عليه في العدد، فعنصر العدد هنا نقطة قوة لك، وقلة العدد نقطة ضعف له، ادفعه للتصدي بنقطة ضعفه، من خلال توزيع حشودك في مناطق متفرقة، مما يجعله يوزع قواته (القليلة) على أماكن متفرقة.

فقد تتفوق قوات الأمن في أرتال المدرعات، لكن نقاط ضعف هذه الأرتال، أن المدرعات التي في المقدمة إن تم إيقافها فإن البقية لا قيمة لها، فلا تغرنك كثرة الإمكانيات، فليس كل الإمكانيات يمكن استخدامها إن اتبعت استراتيجية واعية. قد تجد رتلاً من المدرعات يسير خلف بعضه بنظام، كل المطلوب إيقاف أو تعطيل المقدمة. حينها لا قيمة لبقية الرتل المشلول، الذي تحولت مقدمته التي تقوده وتهديه إلى عقبة تعرقله وتلهيه.

وإن كانت قوى القمع تعمل بسهولة في الميادين الكبرى؛ تحرك في الشوارع والحارات الضيقة حيث لا تتمكن مدرعاتها من الدخول، أو الجأ للأنشطة المفاجئة التي لا تتوقعها قوى الأمن أو تستعد لها. خالف توقعات أعدائك،

وكن هدفًا خفيًا يصعب الإمساك به. أغرقهم بأمواج الحشود، ثم جفف بحرك سريعاً قبل أن يفيقوا من الذهول.

ادرس القمع وأدواته وتعرف على نقاط ضعفه جيداً، وطور استراتيجياتك وتكتيكاتك بناء على نقاط ضعفه، ولا تجعل نفسك هدفًا سهلاً. واعلم أن «المقاوم الماهر يقف في مكان يستحيل هزيمته فيه».¹

وتذكر أن العبقريّة ليست في تدمير آلة القمع، أو تفادي ضرباتها، ولكن أن تكون في تناول يديه ولكنها عديمة الجدوى، وغير صالحة للاستعمال. فعلى سبيل المثال: ماذا سيفعل سلاحه المعد للتصويب على مشيري الشغب إن وجد أمامه نخبة من رموز المجتمع المشهورة، وما جدوى المدرعات الضخمة إن كانت الثورة تشتعل في شوارع ضيقة؟!

ولا تنس أن عضلات الدولة أقوى من عضلات التنظيمات السياسية. فعندما تخوض الحركة التغييرية معركة ضد النظام القمعي الذي يمتلك أدوات الدولة ويمتلك القوة القاتلة، في هذه الحالة قد لا يكون الاصطدام المباشر هو الخيار الأمثل، وإلا ستكون كمن يحاول أن يمسك الثور الهائج من قرنيه، بل لابد من الالتفاف والمناورة، وحشد قوى المقاومة والتغيير في مواجهة نقاط ضعف الخصم. فإذا افترضنا أن من نقاط ضعف الخصم تآكل قدرته على الحفاظ على معسكره متماسكاً نتيجة عجزه عن الوفاء بالوعود التي أعطاها للمتحالفين معه في الداخل أو الخارج، أو عدم قدرته على الاحتفاظ بدعم الجماهير المطلق له، أو افتقاده للغطاء أو المبررات الأخلاقية والقانونية لمواجهة معارضيه. نقاط الضعف الثلاث هذه ينبغي لقوى التغيير أن تحشد قواها لاستهدافها.

1 سان تسو، فن الحرب، ترجمة رؤوف شبايك، نسخة إلكترونية، ص 27.

القاعدة العاشرة

غَيْرُ قَوَاعِدِ اللَّعِبَةِ

إن مواجهة أسلحة العنف بأسلحة اللاعنف يخلق موقفاً معقداً وحالة من عدم التكافؤ الاستراتيجي، فأحد الأطراف يعتمد النشاط اللاعنيف، والآخر يعتمد العنف، كأن نرى لاعب كرة قدم يدخل منافسة مع لاعب كرة سلة، فلكل لعبة قواعدها، ومهارات كرة القدم في المناورة والسرعة والتسديد بالقدم مع تحريم لمس الكرة، لا تفيد في ملعب كرة السلة الذي يعتمد على القفز والتصويب باليد. هذا ملعب رأس ماله القدم، والآخر رأس ماله اليد. فبأي قواعد ستدور المباراة وبماذا يفيد التدريب الشاق!!؟

سيفيد التدريب من يتمسك بقواعده هو ويجبر خصمه على الانتقال لملعبه، لذلك احرص على أن تلعب وفق قواعدك، وألا تغيرها لصالح خصمك أبداً مهما حاول إجبارك على ذلك. وكلما هم بفهم نمط تحركك وأسلوبك في العمل بادر بالتغيير. فنجاح حرب اللاعنف يعتمد على مدى عبقرية المقاومين في تغيير قواعد اللعبة، والتزامهم بأسلوبهم الذي اختاروه، قبل أن تفتن قوى القمع لكيفية التعامل مع الأسلوب الجديد، ودون أن ينجروا إلى ملعب العنف الذي يتفوق فيه خصومهم ويحسنون قواعده، بحيث يترد القمع العنيف على الخصم المعتدي، ويفقد النظام الديكتاتوري توازنه السياسي، ويتكبد خسائر فادحة وتكاليف باهظة، تُفقد العنف فاعليته، وتعكس نتائجه. فحين يبلغ العنف منتهاه، ويستنفذ أعلى طاقاته، ويفشل في كسر إرادة المقاومة، ويظهر عجزه عن التحكم في مقاليد الأمور بعد أن استخدم آخر ما في جعبته؛ تبدأ هزيمته بتبدد شرعيته، وانكسار إرادته، ثم تضعف منظومته عندما يتخلى عن قواته، ويبحث في صفوفه عن كبش الفداء لتبرير الجرائم التي ارتكبتها في حق المجتمع، فيصل إلى مستوى التفكك، وعدم القدرة على الاستمرار.

فإذا كانت سياسات وممارسات الخصم غير مبررة، وجمعت حركة

اللاعنف بين الصمود والاستمرار، والاستراتيجية الواعية، والصورة الحضارية، وعدد النشطاء الكافي، والتعاطف الشعبي، ثم تمكنت في مواجهة القمع من المحافظة على ضبط النفس وعقدت العزم على المقاومة في مسارها المعد. فإنها تحقّق إنجازات كبيرة، خاصة عندما يتسع نطاق التمرد. ويفقد النظام الدعم الجماهيري والدولي.

وعندما يفقد النظام المبرر الأخلاقي لاستخدام القمع أمام حركة حضارية، فإنه حينها قد يتمنى أن تلجأ المقاومة إلى العنف، حيث يمكنه التعامل معها وفق قوانين اللعبة التي يجيدها، ويحشد المبررات المحلية والإقليمية والعالمية ضدها. وحين ينتهي النظام إلى استخدام القمع يكون دور المقاومة قد بدأ لإفقاد هذا القمع أثره، ليحدث أثراً عكسياً.

كيف يرتد القمع بأثر عكسي؟

لكن هناك سؤال يلح.. هل دائماً يكون أثر القمع عكسياً حين يقاوم سلمياً؟ ويؤدي إلى زيادة المتضامين؟! أم أن القمع أحياناً يمكن أن يمر دون أن يحظى المتضررون منه بالدعم الكافي، الذي يحوله إلى نقطة قوة في صالحهم؟!

على هذا السؤال يجيب برين مارتن في كتابه **Backfire**¹، حيث يشير إلى أنه لا يكفي التسليم بأن القمع يقود إلى رد فعل مضاد تلقائياً، ولكن من المهم دراسة الاستراتيجيات المصاحبة للقمع، التي تحاول تقليل الغضب والتضامن. ويحدد مارتن خمس استراتيجيات ملازمة للقمع تعمل على تقليل الغضب: التعقيم: من خلال التعقيم الإعلامي بحيث لا يعلم أحد بحدوث الانتهاك،

1 Brain Martin, Backfire Manual Tactics Against Injustice, Irene Publishing, Sparsnas , 2012.

مثلما كان في معسكرات أبو غريب في العراق.

التهوين مما جرى: فالجريمة بسيطة، ولا تستدعي كل هذا الاهتمام. فهؤلاء إرهابيون مجرمون ومخربون، لا يحظون باهتمام الناس ولا يرون أن ما مورس ضدهم من قمع أمراً سيئاً.

إعادة تفسير ما جرى: من خلال الكذب وإلقاء اللوم على آخرين، وإعادة صياغة المشهد بطريقة تقنع الرأي العام. وهنا يكون اعتراف بالحدث (بعد التعطيم)، لكن مع إعادة صياغته وتبرير دوافعه.

استخدام القنوات الرسمية الشرعية: لإضفاء مظهر من العدالة، كتقديم البعض للمحاكمات، مثل محاسبة صغار المتورطين في جرائم التعذيب بينما يترك واضعو السياسات، وهنا يشعر الناس أن العدالة تحققت، وهي قنوات بالإضافة إلى كونها لا تحقق العدالة، فهي بطيئة، تساهم في موت الغضب.

الترغيب والترهيب: فمن تعرضوا للتعذيب مثلاً قد يخافون من الكلام، أو يتم تهديدهم أو تهديد ذويهم، وقد تنفق الحكومة على جهات معينة وتكافئها على صمتها، كما يتم تخويف الرموز وعموم الناس من المشاركة والتضامن. بهذه الاستراتيجيات الخمس تقوم الحكومات بارتكاب الجرائم المرفوضة عالمياً.

استراتيجيات المقاومة المضادة

لا يكفي التفكير في كيفية التعامل مع القمع فحسب، بل بقطع الطريق وإجهاض هذه الاستراتيجيات المصاحبة من خلال استراتيجيات عكسية تقوم على التالي:

افضح ما حدث

- التوثيق والتصوير والنشر.

- عروض الشوارع وساحات الحوار.

دعم المستهدفين بالقمع

- إعادة طرح قضيتهم وتأكيد أهميتها وعدالتها.
- إظهار الجوانب الإيجابية (إظهار الجوانب الإنسانية فيمن وقع عليهم الاعتداء. فإظهار الصور الشخصية والعائلية يبين أنهم أشخاص عاديون مثل باقي الجماهير، ويغير الصورة الذهنية).
- إظهار التأثير المدمر لجريمة القمع مقابل التهوين من شأنها وآثارها.

إعادة صياغة الأحداث

- التأكيد على تسمية ما وقع بأنه «ظلم».
- مقاومة الكذب بالمعلومة الصحيحة.
- تحديد المسؤول مقابل «إلقاء اللوم» الذي يقوم به مرتكب الجريمة.

تجنب منزلق القنوات الرسمية

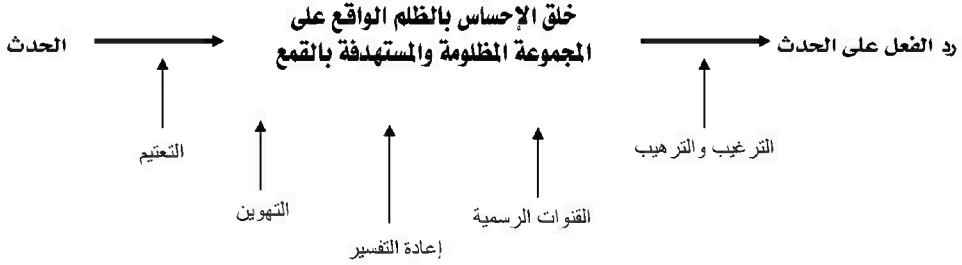
- التحذير من فخ الدفع في مسار القنوات الرسمية الشرعية خاصة عندما تكون سيئة السمعة متواطئة، تضيع العدالة في سراديبها.
- التذكير بمواقف وقضايا مشابهة تم إحهاضها عبر القنوات الرسمية.

مقاومة الترغيب والترهيب

- الاستمرار في الجهر بالحق.
- دعم من يغيرون رأيهم وينحازون إليك.
- التضامن مع من يتم تخويفهم ليصمتون.
- توثيق وعرض الترغيب والترغيب، والتحذير من عواقب الإذعان للترغيب والترهيب.

هذه الاستراتيجيات المضادة قد تدفع بشكل إيجابي في الارتداد العكسي للقمع. وهو ما يطلق عليه "Backfire". فلا يكفي التفكير في كيفية الرد على

خصمك، ولكن من المهم التفكير في إحباط ما يقوم به خصومك ليمتصوا ويحدوا من غضب الناس. فالظلم في حد ذاته ليس دائماً كاف لإثارة الغضب، خاصة إن تبعته إجراءات امتصاص.



شكل 9: الاستراتيجيات الخمس الملازمة لعمليات القمع، والتي تستخدمها الحكومات للتقليل من رد الفعل الغاضب الداخلي أو الخارجي. والتي يمكن التصدي لها عبر خلق إحساس شعبي بمدى الظلم الذي وقع على المجموعات التي تعرضت للقمع. النجاح في خلق هذا الإحساس يعني نجاح الاستراتيجيات المضادة وبالتالي يأتي رد الفعل في صالح المقاومة

ونشير هنا إلى أن الالتزام بالمقاومة اللاعنيفة والتأكيد عليها قولاً وعملاً يفقد الخصم الكثير من فرص تزييف الحقائق. والدقة في تصميم تفاصيل الأنشطة وسد الثغرات الأخلاقية والقانونية يحرم الخصم من قدرته على تفسير الأحداث ضد حركة المقاومة بطريقة تخدم مصالحه.

القاعدة الحادية عشر
استثمر القمع في إجراء حوار
واعتبره امتداداً للنشاط

تهدف وسائل اللاعنف والأنشطة المتنوعة التي تدعو إليها قوى التغيير إلى توجيه رسائل لعدة أطراف، لذلك كانت الأنشطة لغة الحوار في قاموس العصيان. ولا يُنظر للقمع باعتباره عقوبة طارئة على الأنشطة، بل يعتبرها مقاومو اللاعنف امتداداً لها، وامتداداً لفكرة إجراء الحوار مع الأطراف المتعددة.

فكما أن مظهر المسيرة الحاشدة يوصل رسائل لأطراف عدة، فإن مشهد القمع ورد فعل المقاومة تجاهه يوصل رسائل للمقاومين، والمترددin، وعموم الناس، والمخالفين، وقوى القمع، والنظام، والمجتمع الدولي. هذا المشهد الذي قد يبدو محدوداً فإن تأثيراته تكون عظيمة في خلق جدل داخلي وخارجي.. فقط إن توفرت كاميرا تنقل ما يجري.

لذلك كان اهتمام المقاومة المحترفة ببذل الجهد في التخطيط لكيفية التعامل مع القمع، مثلما تبذل الجهد في التخطيط للنشاط، ليس فقط من أجل منع القمع أو تلافي أضراره، وإنما لاستثماره في خلق حوار مع مختلف الأطراف، وإيصال رسالة واضحة لكل طرف.

إن عبقرية حرب اللاعنف في أنها لا تنظر للقمع على أنه عقوبة، كما أنها لا تتمناه أو تسعى إليه، ولكنها تعتبره - في حالة حدوثه - جزءاً من نشاط المقاومة، وكأنه مرحلة من مراحلها تعرف كيف تستثمرها لصالحها.

فإن قلنا أن الحركة تخطط لاحتماين:

الاحتمال الأول: أن يكون النشاط عبارة عن محطتين: محطة البداية ثم الانتهاء بدون حدوث قمع.

الاحتمال الثاني: أن يكون النشاط عبارة عن ثلاث محطات: محطة البداية ثم القمع ثم الانتهاء.

والاحتمال الثاني هو الذي يعيننا في هذا الكتاب، حيث يكون التفكير في ألا يكون القمع أداة في يد السلطة تنهي بها النشاط في الوقت الذي تريد. ولكنه في وعي المقاومة المحطة الثانية، وستبقى مهمة إسدال الستار (المحطة الثالثة) على النشاط في يد المقاومة، هي التي ستحدد كيف تكون الخاتمة.



شكل 10: نشاط تقليدي ينتهي بسلام، له نقطة بداية ونقطة نهاية.



شكل 11: نشاط يحدث فيه قمع، يعتبر المقاومون أن القمع جزءاً من النشاط، فهو المرحلة الثانية فيه، تليها المرحلة الثالثة الذي تنتهي فيها محصلة النشاط لصالح المقاومة.

فإن قلنا على سبيل المثال أن مجموعة خرجت للتظاهر، وكانت متوقعة حدوث قمع، وكانت خطتها تقتضي عدم تجنب المكان المتوقع فيه القمع، والسير قدماً في طريقها لإعلان التحدي. فإنها ستفكر في كيفية تحويل القمع إلى عنصر مؤثر في نشاطها إيجابياً، وذلك من خلال إجراءات قبل، وأثناء، وبعد القمع.

قبل القمع: المبالغة في إظهار السلمية عبر وسائل متنوعة تكتسب التعاطف الشعبي، والتقدير من المخالفين في الرأي. والانتباه إلى أي شيء قد يشكل ذريعة لاستخدام العنف. وإجراءات الحفاظ على "السلمية" وتأكيدها قد لا تمنع القمع، ولكنها ترفع تكلفته وتحول أثره إلى أثر إيجابي في صالح المقاومة.

أثناء القمع: الاهتمام بالمشهد الذي سيظهر على شاشات التلفزة، لإظهار مدى التناقض بين الفريقين، مثل رفع لوحات وأعلام تؤكد سلمية العمل، أو تخاطب قوات القمع، أو توزيع حلوى وورود على قوات الأمن، أو من خلال مجموعات «جيش المهرجين» الذي يملأ جيوبه الواسعة بالألعاب أطفال صغيرة، ليظهر سخافة ما تقوم به الشرطة حين تعتقله وتقوم بتفتيشه فلا تخرج إلا مجموعة من الألعاب،¹ أو عبر هتافات خاصة تدعو الشعب والعالم لرؤية الإجرام، أو غيرها من الوسائل اللافتة للانتباه.

ويدخل في ذلك مشهد الاعتقال، كيف تريد أن تظهر صورتك للرأي العام، غاضب أم هادي؟! تدفع قوى الأمن أم تسير بهدوء وثقة؟! كلها اختيارات تجعل من عملية الاعتقال نفسها مشهداً يتطلب اعتناء، وقد يضع كل شخص في جيبه ملصقاً عليه رسالة للرأي العام، يضعها على جبهته فور الاشتباكات. بحيث تصل الرسالة في حالة اعتقاله أمام الكاميرات.

قد يبدو للوهلة الأولى أن المحتج في قبضة رجل الأمن، لكن الحقيقة أن رجل الأمن هو الذي في قبضته، فكل ما يحدث من رد فعل قمعي تم التخطيط للتعامل معه بذلك، بحيث يصبح جزءاً من مشهد المقاومة لا مشهد الخصم. إنه شعور المقاوم الذي يعلم - رغم أن الأغلال في يده - أنه ما زال في دائرة الكفاح، لم يتوقف بعد، بل ربما هذا هو المشهد الأهم. فهو فعلياً الذي يكبل

1 للتعرف على جيش المهرجين انظر الملحق.

القمع وسيطر عليه ليخدم خطته. هو ليس استسلاماً ولكنها عدوانية سلبية.¹
 «أن تبدو مستكيناً لا تظهر أي مقاومة، لكنك عملياً تهيمن على الوضع».²

كذلك لا يعتبر المقاومون أن نشاطهم انتهى بالاعتقال، ف لديهم الرسائل التي يريدون إيصالها من خلال الاستجابات والمحاكمات. والرسائل معدة بعناية ودقة، رسائل إلى المقاومين خارج الأسوار، وإلى الشعب وإلى معسكر النظام، وإلى المجتمع الدولي.

بعد القمع: الترويج لنبل المقاومة وإجرام النظام، من خلال عدة أنشطة مثل المؤتمرات الصحفية، والبرامج التلفزيونية، والاهتمام بعرض الجوانب الإنسانية، والمقاضة القانونية، والتضامن أمام مقار الأمن مع المعتقلين وإطلاق الجنائز (التي تعتبر امتداداً للنشاط).

إن القمع هو الذي يعطي قبلة الحياة للأنشطة المحدودة (في زمنها وأثرها)، فالنشاط الذي كان مقرراً له أن تكون مدته ساعة في حالة السيناريو التقليدي، يتحول بفعل القمع إلى سلسلة طويلة من الأنشطة قد تستمر أسابيع وقد تشعل شرارة التغيير في المجتمع، وربما في العالم. فصنعة شرطية على وجه البوعزيزي في تونس أشعلت ثورة في العالم العربي. وتعتبر اللقطات والصور بمثابة الذخيرة المصوبة في صدر النظام. فإن كان سلاح الأنظمة المستبدة هو الرصاص وقنابل الغاز؛ فسلاح المقاومة اللاعيفة عقل متقد وكاميرا ذكية جريئة.

إن من إبداع حرب اللاعنف أنها لا تعتبر القمع عقوبة، لا تتمناه، ولكنه إن حدث أصبح امتداداً للنشاط، وجزءاً من الخطة.³

1 مصطلح العدوانية السلبية منقول عن روبرت غرين في كتابه 33 استراتيجية للحرب.

2 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص15.

3 لتوضيح فكرة جعل الضرب جزء من الخطة، نضرب مثلاً بطفل، كان له زميل يضربه كل يوم، لكن بنيته الجسدية لا تمكنه من الرد عليه، كما أن أهله ربوه على ألا يطلق للغضب العنان، ويعمل عقله، ولا =



صورة 26: دور الكاميرا في نقل حالات الاعتقال، حيث يعتبرها المقاوم فرصة لإيصال رسالة وليست مجرد عقوبة.

= يترك حقه.. قرر أن يدبر خطة، وطلب من أعز أصدقائه أن يصور في اليوم التالي مشهد الضرب، ثم يعرضه في اليوم التالي أمام باب المدرسة ليراه المدرسون جميعاً والطلاب وأولياء الأمور الذين يوصلون أبناءهم.

وعندما جاء الصباح ذهب سعيداً إلى المدرسة. ترى هل يتمنى أن يأتي زميله الذي يضربه أم لا؟! تكاد تكون هذه هي المرة الأولى التي يتمنى فيها أن يأتي زميله ولا يتغيب. بل في هذه المرة كلما أفرط زميله في الوحشية، أفرط هو في الاستسلام، لم يوجه له حتى كلمة يسبه بها، كانت سعادة الطفل غامرة، خاصة كلما لمح عدسة التصوير.. ترى كيف تحول الضرب إلى مصدر سعادة هكذا؟! أين الشعور بالإهانة؟! لم يضربه زميله هذه المرة على وجهه، ما هذا؟! يبدو أنه نسي؟! كاد أن يقول له .. اضرب بضمير لا تخرجني.. ثم حاول أن يضع وجهه متعمداً بين راحة كفيه... كان إذا ضربه على خده الأيمن يدير له خده الأيسر لتكتمل الجريمة.. فهو يعلم أن المشهد الآن مصور.. وأن زميله نهايته وشيكة!!



صورة 27: متظاهر في حراك وول ستريت يهتم بالمشهد
الذي سيظهر عليه أمام وسائل الإعلام.

نموذج تخطيطي

الطرف	الرسالة	الاستراتيجية	التكتيك	التوقيت		
				قبل	أثناء	بعد
المشاركون	التظاهرة سلمية	الأجواء الاحتفالية	غناء			
			هتافات تؤكد المعنى			
			كلمات			
	الشكر والتقدير	الإعلام العام	بيان شكر للتمسك بالكفاح اللاعنيف بشجاعة			
قوات القمع	التظاهرة سلمية	تقليل التوتر	بيان يؤكد السلمية			
			تقديم العائلات والأطفال			
			تقديم الورود			
	لستم أعداءنا	التواصل المباشر	رفع لافتات			
عموم الناس	لسنا إرهابيين	صناعة البهجة	ربط بالونة في كل علم			
	النظام إرهابي	تحمل الضربات	التصدي بشكل أعزل			
النظام	مستمرون	رفع سقف التحدي	الذهاب لمكان مؤثر			
المجتمع الدولي						

جدول 7 : يتم تصميم استراتيجية التعامل مع القمع بناء على الرسائل المراد إيصالها إلى كل طرف، فتحدد الرسائل التي ستوجه للمشاركين في التظاهرة، ولقوات القمع، والاستراتيجيات التي توصل كل رسالة، ثم التكتيكات التي تحقق كل استراتيجية، ويطبق نفس الشيء على بقية الأطراف مثل عموم الناس، والنظام، والمجتمع الدولي. وقد توضع أطراف أخرى مثل الأهالي في المنطقة

التي يتم فيها النشاط، يتوقف الأمر على طبيعة الموقف والحالة. والمناطق المظلمة باللون الأسود تحدد توقيت استخدام التكتيك إن كان قبل أو بعد أو أثناء القمع.

سنلاحظ في هذا النموذج أن التخطيط لإجراء حوار يعني الانتباه للأنشطة القبلية والبعدية للقمع، بحيث يوصل سلوك المحتجين قبل وأثناء وبعد القمع رسالة محددة متصلة خلال هذه المراحل الثلاث. ففي المثال المذكور سنجد أن المخطط للنشاط يحدد الرسائل التي يريد إيصالها، ثم يحدد كيفية وتوقيت إيصالها من خلال استراتيجيات وتكتيكات فعالة قبل أو بعد أو أثناء القمع.

فهو يؤكد للمقاومين التمسك بالمسار اللاعنيف، من خلال استراتيجية تعتمد على خلق أجواء احتفالية بتكتيكات تجمع الأغاني والكلمات، بالإضافة إلى الهتافات التي تستمر أيضاً مع المحتجين أثناء القمع. أما بعد القمع فتصل لهم رسالة شكر وتقدير من خلال بيان رسمي.

أما بالنسبة لقوات القمع فسيهتم المحتجون قبل التظاهرة (أي قبل التعرض لآلة القمع) بنشر بيان، كما سيبدأ المحتجون يومهم بتوزيع الورود، وسيقدمون كبار السن والأطفال، ويرفعون لافتات قبل وأثناء النشاط تؤكد سلميتهم. من خلال كلمات وأغاني قبل القمع، ومن خلال هتافات تؤكد المعنى أثناء النشاط، كما ستصل رسالة تقدير للمشاركين من خلال بيان يشكر كل من ساهم في التظاهرة.

كذلك سيخاطبون عموم الناس عبر التعبير الصادق بتحدي الجسد الأعزل، بالإضافة أعلام معلق عليها بالونات، مما يضيف جواً مؤكداً للسلمية، وأن هؤلاء لا يستحقون ما جرى لهم.

أما الرسالة الموجهة للنظام فهي الاستمرار رغم القمع، وإتباعه بالتوجه

لمكان له دلالة رمزية تؤكد استمرار الكفاح.

كذلك يمكن توجيه رسالة للمجتمع الدولي إن كان ثمة تشويه للمقاومة على المستوى العالمي، كما يمكن إضافة المزيد من الأطراف مثل أهالي المنطقة. وتضاف الأطراف بصفة عامة بحسب الحاجة.

من خلال هذا النموذج الشارح نرى كيف يتحول القمع في حد ذاته - أو بالأحرى عملية التعامل مع القمع - إلى نشاط يخلق حواراً مع الكثير من الأطراف ويوصل رسائل مختلفة، كأنه بالضبط نشاط عادي للمقاومة.



القاعدة الثانية عشر

قاوم الخوف واليأس

تتطلب حرب اللاعنف شجاعة، خاصة في مواجهة الأنظمة القمعية. ويعتبر جدار الخوف من أهم الحصون التي تختبئ وراءها الممارسات القمعية. فالنظم تفرض طاعتها عبر تشييد هذا الجدار في النفوس. هي فقط تضع حجر الأساس، ثم تترك للناس مهمة تشييد جدار خوفهم بأنفسهم، من خلال التلاعب بالعقول، وزراعة الوهم في الرؤوس.

وتعمل حرب اللاعنف من اليوم الأول على كسر جدار الخوف، من خلال تحرير العقول، حتى تتمكن من رؤية الواقع من منظور جديد عكس المنظور الذي تسوقه الأنظمة المستبدة، لتؤكد أن المجتمعات هي من تملك القوة، وهي التي تمد بها أنظمتها عبر الطاعة اليومية. وفي نفس الوقت تحاول الأنظمة إقناع الشعب أنها وحدها المسيطرة، وأنه لولاها لما كان الشعب.¹

بين جدار اليأس والخوف

ويجب التمييز بين مفهومي «اليأس» و«الخوف»، فليس كل عزوف عن المشاركة سببه الخوف، أحياناً يكون السبب هو اليأس. اليأس من إمكانية التغيير، فلطالما اتهمت شعوب المنطقة العربية بالخوف والسلبية، ومع اندلاع ثورة تونس إذا بنا نرى الشعوب تنتفض في مشهد صادم للقناعات السابقة. لم تكن الشعوب جبانة، بقدر ما كانت يائسة من إمكانية التغيير على الطريقة التي يطرحها السياسيون التقليديون، فحين رأى الناس نتائج الحراك الشعبي في تونس وهروب بن علي في يناير 2011، تحطمت جدران اليأس، واستبسلت الشعوب وقدمت توضيحات لنكتشف أن جدار اليأس كان أعلى بكثير من جدار الخوف.

ويمكن تحديد أسباب اليأس في:

* غياب رؤية للمستقبل مما يؤدي إلى تكبيل الحركة.

1 للمزيد من التفاصيل حول نظرية القوة في منظور حرب اللاعنف، يمكنك الرجوع إلى كتاب "حرب اللاعنف.. الخيار الثالث" إصدار أكاديمية التغيير.

- * غياب رؤية للمسارات الفعالة المقنعة عملياً بإمكانية حدوث التغيير.
- * غياب النموذج العملي الذي يعرض الرؤية وينحت المسار.
- * عدم الاقتناع بأن التضحية المطلوبة تتناسب مع الهدف، فلا تقدم التضحيات بدون مقابل.

وعلاج اليأس أو بالأحرى بعث الأمل يتطلب:

- * رؤية واضحة.
- * مساراً مقنعاً، ويلعب العلم ونشر الثقافة هنا دوراً كبيراً، فالعلم نور يهدي إلى الطريق السليم.
- * نماذج عملية تسير على المسار.
- * نجاحات جزئية تؤكد صحة المسار.
- ولا يكون علاج اليأس بالخطب العاطفية، التي قد تلعب دوراً مؤقتاً، لكنها بعد فترة طويلة تزيد اليأس طبقات وطبقات.
- إذا انتهينا من هدم جدار اليأس، نعيد النظر.. هل ما زال الناس مترددون؟! إذن ربما هنا نصطدم بحاجز الخوف، مما يتطلب أن نفهم فلسفة كرة الخوف.

كرة الخوف

من الطبيعي أن تخاف الجماهير وعموم المشاركين؛ بل والمقاومون من هيئة قوى الأمن المدججة بالسلاح. وليس غريباً أن ينتقل هذا الخوف بسرعة بين قلوب المشاركين في التظاهرات والاعتصامات. المهم ألا يستقر الخوف داخل ملعب المقاومة.

إن الخوف عنصر حاضر في المعركة.. إما أن تحتفظ به أو تجعله من نصيب خصمك، هو عنصر متأرجح بين الطرفين ككرة التنس، لكنها في النهاية تقع في ملعب طرف واحد.

وعلى المقاومة اللاعنفية أن تدرك أن الإشكالية ليست في القمع، وإنما في الخوف من القمع. فحرب اللاعنف لا تهدف في الغالب - خاصة في البدايات - إلى السيطرة على مناطق بعينها مثلما يحدث في الحروب العسكرية النظامية، وإنما هي أقرب لحرب العصابات التي تعتمد الكر والفر. لذا فالحركة الدائمة والمستمرة لحركة المقاومة تُفقد أداة القمع النظامية والثابتة مفعولها، المهم أن تكون المقاومة أشجع من آلة القمع وأن تكون قادرة على إنهاكها.

كيف نتغلب على الخوف؟

إن علاج الخوف يكون من خلال عدة أمور:

قبل النشاط

التثقيف: فالخوف مرده توقع أمر سيء في المستقبل، مثل الضرب المبرح أو الاعتقال. وجزء من أسبابه الجهل، وعدم معرفة أين يقف الخصم وماذا يفعل.¹ لذلك كانت التوعية من أهم أسباب كسر حاجز الخوف، من خلال:

* التعريف بألية التعامل مع الخوف.

* التعريف باستراتيجيات الخصم المتبعة في القمع، والاستراتيجيات المضادة للتعامل معها.²

* التعريف بتفاصيل الهروب إن لزم الأمر، وكيفية التعامل في حالة الاعتقال. والتعريف بالدور الذي يلعبه المعتقل مع المحققين وفي المحكمة.

* وبذلك يتم قطع الطريق على أن يؤثر عنصر المفاجأة بدرجة كبيرة على المشارك، فهو تقريباً يتوقع ما سيحدث. فتوقع ما سيحدث على سبيل المثال عند الوصول إلى منطقة فيها مجازفة، يقلل من الخوف والارتباك.

1 سيردجا بوبايتش، أندريج مولافيچتش، سولوبودان دينوجونفيتش، الكفاح السلمي .. 50 نقطة

حاسمة، مركز تطبيق الاستراتيجيات وعمل اللاعنف، بلجراد، صربيا، 2006. ص 132.

2 نفس المصدر السابق، ص 133.

تحديد قواعد التعامل مع الأفراد الخائفين: فالخوف لا يستحق التوبيخ أو التلاوم لأنه حالة عقلية ونفسية وجسدية تختلف من إنسان لآخر. وعندما نفهم كيف يعمل الخوف، سنتوقف عن جلد ذواتنا. إن المقاومة الناضجة لا تصف الخائف بالغبان، بل تساعد على أن يتحرر من هذه الحالة.¹ وبالتكرار والتعود ينكسر الخوف شيئاً فشيئاً.

التشجيع على الانضباط: بمسار اللاعنف وتحديد مكافآت لذلك.²

نقل التجارب: من المفيد أن ينقل الذين تعرضوا للتجربة قمع تجاربهم ومشاعرهم للآخرين.³ ويمكن أرشفة هذه التجارب على شبكة الإنترنت في موقع خاص بجدار الخوف، بحيث يتمكن الجميع من الاطلاع عليه والاستفادة من التجارب.

المرح: القيام بأعمال فيها مرح قبل النشاط يقلل من الخوف والارتباك.⁴

تعظيم الحدث: والنتيجة المرجوة منه، ومخاطبة العاطفة، مما يزيد الحماس لمجابهة الخوف.⁵ ففي هذه الحالة تستخدم العاطفة لمواجهة العقل.

الصلوات: تساعد الصلوات والدعوات في المجموعات التي لها انتماءات دينية على هدوء البال وسكينة القلب.

1 الخوف من الناحية الفسيولوجية هو عبارة عن خليط من الإفرازات الهرمونية (الأدرينالين) والرسائل العصبية، وزيادة سرعة تدفق الدماء في الأوعية الدموية، بالإضافة إلى إطلاق المزيد من الجلوكوز (الوقود) الذي يساعد على شد العضلات ومضاعفة القوة البشرية العضلية والجسدية. وسبب ذلك أن الطبيعة الأم تهين أجسادنا لردة فعل فوق طبيعية عندما تتصور عقولنا أن أجسادنا مهددة. وهنا ينبغي على الإنسان أن يفكر.. هل يستثمر هذه القوة الجسدية المضاعفة وفوق الطبيعية في الفرار أم في الكفاح والمقاومة؟!

2 نفس المصدر السابق، ص 133.

3 نفس المصدر السابق، ص 133.

4 نفس المصدر السابق، ص 133.

5 نفس المصدر السابق، ص 133.

صناعة الانتماء: من خلال الدعوة لارتداء ملابس موحدة أو رفع شعارات متشابهة، أو الوقوف معاً والجلوس معاً، والتحرك بطريقة منظمة. بحيث يشعر الفرد بالانتماء لمجموعة أكبر، يشعر بينها بالدفء.¹ إن الهتافات واللافتات والشعارات والحركة الموحدة تساهم بشكل كبير ليس فقط في مخاطبة عموم الناس، وإنما في مخاطبة المشاركين في النشاط لأنفسهم، وإحساسهم بقوتهم ووحدتهم وترابطهم وتضامنهم.

أثناء النشاط

خوض النشاط: فخوض النشاط في حد ذاته يساهم في كسر حاجز الخوف. ويلاحظ أن الخوف يزول تدريجياً من قلوب الذين يواظبون على المشاركة في الاحتجاجات بشكل مستمر، حيث تُكتسب الشجاعة تدريجياً، وتتحول المشاهد المخيفة إلى مشاهد معتادة، مثلما تجد طفلاً صغيراً يخشى في البداية ماء البحر، ثم ما يلبث أن يهرول نحوه.

الحشود الكثيفة: حيث يشعر المتظاهرون بالدفء الثوري، وأن هذا العدد الضخم لن تستطيع قوة أن تقف أمامه، كما تتيح للمحتج خيارات أخرى في حالات العنف، مثل الرجوع للصفوف الخلفية، بعكس المظاهرات قليلة العدد التي يجد المتظاهر نفسه في جميع الأحوال في مرمى القمع.

حسن التخطيط ورفع التكلفة على القمع: بحيث لا يتم استخدامه بشكل مفرط، من خلال اختيار استراتيجيات وتكتيكات واعية سواء فيما يتعلق بمناطق التواجد، أو بالمنشآت، الخ. إضافة إلى التواجد المكثف والبارز لكاميرات التصوير، فهي السلاح المركزي لدى المقاومين.

توفير وسائل الحماية الأساسية: مثل نظارة البحر، والخوذة، وزجاجة الخل،

1 نفس المصدر السابق، ص 134.

وقناع الغاز، وحقيبة الظهر، وغيرها من وسائل الحماية.¹ فالخوف أحياناً تكون أسبابه منطقية، متعلقة بعدم توفر وسائل أساسية للحماية، لذلك كانت حماية الجسد خطوة في طريق الحماية من الخوف.

كذلك تُوفّر وسائل الحماية الجماعية مثل الدروع الكبيرة والمظلات الصلبة التي تحمي رؤوس المتظاهرين. بالإضافة إلى مجموعات «حفظ السلام» التي يكون دورها تأمين المسيرات والتعامل مع الهجمات.

عدم الاستماع للخصم: ففوات القمع أحياناً تصدر تحذيرات تهديدية عبر مكبرات الصوت، أو يضرب الجنود بعصيهم على الدروع ليصدروا أصواتاً تهديدية، في هذه الحالة من المفيد التشويش على هذه الأصوات، بقرع الطبول أو إطلاق ألعاب نارية في الهواء، أو الغناء والهتاف بصوت عال.²

رفع لافتات ضخمة:³ على الأعمدة والمباني، تؤكد للمقاومين أهدافهم وتلهمهم معاني الصمود والاستبسال، وكلما نظروا إليها امتلأوا حماساً.

الانشغال بالعمل: سواء كان في تظاهرة أو اعتصام أو أي نشاط، فالانشغال بعمل محدد يساعد في تقليل الارتباك والخوف،⁴ لأن العقل ينشغل بموضوع آخر، ومن أمثلة العمل التصوير أو إشعال حماس المحتجين أو مخاطبة عموم الناس الذين يتفرجون، أو توزيع حلول على المارة.. وهكذا.

التحرك الجماعي: فمما يقلل الخوف تحرك المجموعات معاً، بل يتحول

1 يمكن الرجوع إلى كتاب "الدروع الواقية من الخوف" من إصدارات أكاديمية التغيير، وهو كتاب يستعرض أشكالاً متنوعة لتوفير الحماية الفردية والجماعية.

2 سيردجا بوبايتش، أندريج مولافيجتش، سولوبودان دينوجونفيتش، الكفاح السلمي.. 50 نقطة حاسمة، مركز تطبيق الاستراتيجيات وعمل اللاعنف، بلجراد، صربيا، 2006. ص 134.

3 نفس المصدر السابق، ص 134.

4 نفس المصدر السابق، ص 133.

الخوف في أوقات الأزمة ميدانياً من رهبة القمع إلى خشية فراق المجموعة والتحرك منفرداً، هنا تعتبر المجموعة والبقاء معها بمثابة الدرع النفسي للشخص.

فرق الأبطال: وهم مجموعات من الشباب المقدام الشجاع الذين يشكلون الخطوط الأمامية للمواجهة مع آلة القمع. وهم المدربون والمجهزون بأدوات الحماية المناسبة. وتمرسون على التعامل مع حالات القمع.

إن «فرق الأبطال» بصمودها وشموخها واستبسالها وشجاعتها لا تتصدر فقط خطوط المواجهة؛ وإنما تنقل عدوى الشجاعة والثقة بالنفس لعموم المشاركين، فحين يراهم المتظاهرون يحملون قبلة الغاز ليرموها في الاتجاه المضاد، أو يطيطون صوب الوجهة التي يُسمع فيها صوت الأعيرة النارية، في تحد صارخ للموت، حينها يتمنون لو ولدوا أبطالاً كهؤلاء البواسل الذين يسطرون بشجاعتهم صفحات التاريخ الحديث. والذين سيكونون أساطير وحكايات ما قبل النوم للأجيال القادمة. وحين يرون ملامح الشجاعة في صعود البنايات العالية بخفة بالغة، أو أعمدة الإنارة لرفع علم كبير، حينها ترتفع الأنظار إليهم، وترفرف الروح مع العلم.

ربما يقوم بعض الشباب بهذه الأعمال بشكل عفوي دون أن يعلموا كم يؤثر ذلك في معنويات المشاهدين. لكن المقاومة الواعية تعتمد إلى تشكيل «فرق الأبطال» والقذف بهم في أتون المواجهة بوعي واستراتيجية مدروسة، ليكونوا ملهمي الجماهير. وهذا يتطلب خدمة لاحقة لما يقومون به، مثل الأرشفة اليومية والمباشرة لمواقف «فرق الأبطال» منذ اليوم الأول في سجل المقاومة الناصع، ولا تترك عملية الأرشفة لحين انتهاء المقاومة، فهم وقودها اليومي ومشعلو الثورة وملهمو الجماهير. فمشهد واحد من مشاهد الصمود يحرر الملايين ويدفعهم للمشاركة.

أي أن «فرق الأبطال» يمكن أن تُصنَّع صناعةً، بداية من الإعداد إلى اختيار التكتيكات الملهمة، إلى الخدمة الإعلامية لاحقاً.

* * * *

القاعدة الثالثة عشر

تمسك بالمسار وتسليح بالانضباط،
ولا تحرك غريزة الانتقام

اجعل نصب عينيك المسار الذي اخترته لتخوض به معركتك، وهو المسار اللاعنيف، ولا تجعل شدة القمع تدفعك لرد فعل سريع يحرفك عن المسار، لا تفكر بعقل انتقامي، وتحلّ بضبط النفس. والقاعدة موجهة بدرجة أولى للقيادات التي تحشد وتوجه، ثم للشخص العادي القادر على ضبط النفس.

وانتبه إلى أنه «في قلب المعركة يميل العقل إلى فقدان اتزانه، حين تواجهه الكثير من الأمور في وقت واحد، نكسات غير متوقعة، شكوك في الحلفاء.. ثمة خطر في الرد بشكل عاطفي، بخوف، بإحباط، أو بياس.. زد من صلابة عقلك عبر تعريضه للمحن. تعلم أن تفصل نفسك عن فوضى ساحة المعركة. دع الآخرين يفقدون صوابهم، أما حضور ذهنك فسيحررك من تأثيرهم ويبقيك على المسار الصحيح»¹.

إن حرب اللاعنف كأى حرب تتطلب انضباطاً في المسار، وتمسكاً به، فإن كان ثمة حاجة لتغيير المسار فيجب أن يكون ذلك عن إرادة و طاقة عقلية وليست عاطفية. فكما كان اختيار المسار نابع عن تفكير عقلي، فإن تغييره ينبغي أن يخضع لنفس المعيار. فالضربات القمعية تهدف إلى إفقاد القيادة قدرتها على التفكير، ومن ثم تبدأ في تنفيذ برنامج الخصم.

والأفضل أن توضع كل السيناريوهات المحتملة قبل بدء النشاط، ويكون منها حالات القمع المفرط وكيفية التعامل السريع معه.

إن غريزة الانتصار يجب أن تتفوق على غريزة الانتقام. فالذي يتحرك بدافع الانتقام قد لا يحقق مراده، بل ربما ينقلب على القيم التي يدعو إليها، فينتقم من أبرياء ليس لهم حول ولا قوة، وربما هم ضحايا مثله، وقد يلحق بمن سبقه

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط 1، 2009، ص 67.

ممن قضوا على طريق التغيير. أما غريزة الانتصار فمشبعة بالحرص على الوصول.

ويغلب في التجارب التغييرية التي ووجهت بعنف مفرط أن تفكر المجموعات المقاومة باللجوء للعنف، كرد فعل انتقامي من النظام، ويأس من المسار. وهي تكاد تكون ظاهرة متكررة.

كيف تنجو الحركات من التحول للعنف؟

وتنجو الحركات من براثن العنف المدمر في الحالات التالية:

* وعي مجتمعي كبير بفلسفة حرب اللاعنف واستراتيجياتها وتكتيكاتها.
* وعي لدى الحركات بأسلوب حرب اللاعنف. بالإضافة إلى وعيها بالعنف. فاختيار اللاعنف ليس عن جهل، وإنما عن وعي بشروط نجاح العنف وعواقبه على بنية المجتمع.

* وجود قيادة متمسكة بالمسار، ويسمع لها، ولديها القدرة على التحكم في الحشود الضخمة. وهذا لا يخالف اللامركزية في العمل، فالقيادة تضع السياسات العامة.

* تحول الحركات إلى مسار العنف، ثم تكبد خسائر فادحة (شعبيًا وحركيًا)، مما يدعوها للتفكير في مسارات بديلة. فقد تبدد لديها وهم أن العنف سيأتي بنتائج سريعة.

* وجود حركات لاعنيفة ملتزمة بالمسار وقادرة على تحقيق إنجازات ولو محدودة، وابتكار وسائل أكثر إيلاماً.

وفي حالة غياب وعي مجتمعي، أو غياب قيادة مركزية تدعو لضبط النفس، فإن الحالتين الأخيرتين تعملان معاً. فتتجه حركات ومجموعات للعنف، وتخفق في مسارها، ويتزامن مع ذلك وجود حركات ومجموعات لاعنيفة، مصرة على الالتزام بالمسار، وقادرة على توليد بدائل فعالة تلفت الانتباه.

آليات ضبط النفس

ضبط النفس خصلة ضرورية للقادة، سواءً اكتسبوها بالجهد والتدريب، أو كانت خصلة فطرية لديهم. وعادةً ما يكون ضبط النفس شاقاً على غير المدربين، أو الذين لا يمتلكون هذه الخصلة بشكل فطري. فالتحكم في المشاعر يعني أنك لم تفقد عقلك، فالرغبة الملحة في الرد تدفعها المشاعر والغريزة، أما كيفية وتوقيت الرد، فهو دور العقل. ليس مطلوباً أن تقتل المشاعر، فقط نحّها عن القيادة، واجعلها دافعاً لعقلك لكي يبدأ العمل.

هذا التأجيل لرغبة المشاعر يتطلب تنازلاً عن الراحة المؤقتة التي يجلبها التنفيس عن المشاعر. فربما «يشعرك التعبير بحرية عن انفعالاتك بالراحة اللحظية، لكنه يجعلك تخسر الكثير على المدى الطويل. المشاعر تشوش العقل، وتفقدك الرؤية الواضحة، وهذا يمنعك من التأهب والاستجابة باقتدار لما يواجهك من تحديات». ¹ «لا تكبت المشاعر ولكن عبر عنها بحكمة، والأهم ألا تشوش على تفكيرك». ²

من آليات ضبط المشاعر

التنفيس السريع المدروس: فإن كنت ممكن يرغبون في التنفيس عن مشاعرهم سريعاً فحدد مسارات التنفيس التي يقننها عقلك، مثل القيام بعمل مداخل هاتفية عبر الفضائيات لتشرح ما جرى. حدد أفضل طريقة للتنفيس تتناسب مع شخصيتك، إن وجدت أن التنفيس الفوري ضرورة ملحة. واحرص ألا يكون لهذا التنفيس أثر سلبي.

البعد عن أسباب إثارة المشاعر: ومن وسائل ذلك:

*** لا تتابع كثيراً النشرات الإخبارية أو البرامج المستفزة.**

1 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولى، 2011، ص 33.

2 نفس المصدر السابق، ص 33.

* لا تشاهد مشاهد الفيديو المؤسفة. وأرشفها لديك لتستعملها حين تفقد الحماس، لكن لا حاجة إليك بها وأنت غاضب.

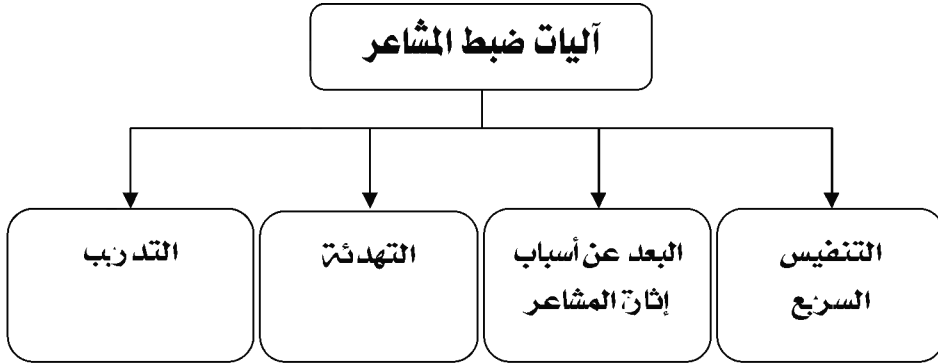
* امتنع قليلاً عن متابعة مواقع التواصل الاجتماعي، أو المشاركة في سجالات حوارية. بحيث تستعيد إمكانية التحكم في عقلك من جديد.

* ابتعد عن الشخصيات التي تعاني «السخط المزمن»¹، والتي لا ترى كل ما حولها إلا من منظور بائس. والتي عادة ما تستخدم مصطلح «الواقع».. فتقول لك «هذا هو الواقع ويجب ألا ننكره». لأن لكل عقل طريقة في رؤية «الواقع»، والقادة عادة ينظرون إلى النقاط التي يمكن من خلالها اختراق الواقع، وليس تأكيده. فينتصرون بالخيال على الواقع.

التهدة: ابحث عن الوسائل التي من شأنها أن تهديء مشاعرك، ربما بالتواصل الهاتفي مع أفراد لديهم هذه القدرة، أو مشاهدة أفلام، أو قراءة قصص، أو كتب، أو الخروج في رحلة مع أصدقائك.. الخ.

التدريب: على إدارة الانفعالات وضبط النفس وتأجيل الرد، وبالتعرض للمواقف الكثيرة تتغير الخصال، بالإضافة إلى مصاحبة من يمتلكون بالفعل هذه الخصال. لذلك فإن المقاوم اللاعنيف في جهاد متواصل مع نفسه، يهتم برعايتها والسيطرة عليها، بحيث يكون ضبط النفس سلوكاً طبيعياً له، يحركه الغضب ولا يورطه، وبحيث يحقق العقل مطالب العاطفة بأفضل طريقة.

1 نفس المصدر السابق، ص 147.



شكل 12: تتعدد آليات ضبط المشاعر بين التنفيس السريع المدروس، والبعد عن كل ما يؤدي إلى إثارة المشاعر، والاقتراب في المقابل من كل ما يؤدي إلى التهديئة، ثم يضاف إلى ذلك التدريب المستمر، بحيث يكون ضبط النفس خصلة مكتسبة.

ضبط مشاعر الجموع

إن المشاعر تنتقل كالعدوى، وكلما تمكنت أعداد كبيرة من فرض مشاعرها على الجموع، كان ذلك أدعى إلى وجود سلوك جمعي من ضبط النفس. ومن وسائل ضبط النفس الجمعي:

* تعليق اللوحات واللافتات.

* المجموعات التي تصدر الصفوف.

* المجموعات التي تجري حواراً مستمراً مع الجماهير والمشاركين أثناء النشاط. سواء بالسير بينهم مع رفع لافتات تخاطبهم، أو إلقاء كلمات وسط الحشود، أو هتاف محدد... الخ.

* المشاهد الاحتفالية التي تقلل التوتر مثل البالونات والأعلام والغناء وتوزيع الحلوى.¹

1 المشاهد الاحتفالية أحياناً لا يكون الهدف منها مخاطبة النظام فقط أو عموم الناس، وإنما نزع التوتر المجموعات المشاركة نفسها.

* قيادة منضبطة مسموعة ومقدّرة.

على الناحية الأخرى استثمر طاقة الغضب عند خصمك، فالغضب سيظهر وجهه الحقيقي، وسيزيل مساحيق التجميل الخادعة. فيبدو دائماً عبوساً، بينما تبدو المقاومة دائماً مرحلة تحمل بشارات المستقبل.

* * * *

القاعدة الرابعة عشر
بعد الضربات القوية
اهتم برفع المعنويات

حرب اللاعنف هي حرب إرادات، والقمع المفرط يسعى إلى كسر المعنويات وخلق خللة الإرادة. لذلك كان من المهم وجود مجموعات تهتم برفع المعنويات، خاصة في الحالات التي تحدث فيها إصابات كثيرة أو اعتقالات أو يسقط شهداء. وموضوع صيانة الإرادة ملف كامل يتطلب من حركات المقاومة من يعكف عليه، ليطور أساليبه بما يتناسب مع المجموعة أو الحركة.

أساليب رفع المعنويات وصيانة الإرادة

ورفع المعنويات لا يكون بعد الهزيمة الميدانية فحسب، فالوقاية خير من العلاج. ولا توجد معارك حتمية الانتصار، ومن ثم توضع إجراءات قبل وبعد وأثناء المعركة للحفاظ على القوة المعنوية ومضاعفتها.

قبل المعركة

* تجنب ترديد عبارات توحى بأن المعركة المقبلة هي المعركة الأخيرة. مثل «الزحف الأخير»، أو «يوم الحسم»، أو «النهاية الحتمية». يمكن أن تبدأ الحرب، لكن من الصعب عملياً أن تحدد ميعاد النهاية، لذلك يفضل العبارات والشعارات المعبرة عن طبيعة المعركة، وأهدافها الفعلية¹.

* احرص على التأكيد أن هذا النشاط خطوة على الطريق. وإن كان نشاطاً جديداً لأول مرة فتحدث عن شرف التجربة، وأن التجربة ما هي إلا اختبار للواقع ووعينا بإمكانية اختراق صعوباته، ومن ثم فإننا نجرب من خلال النشاط وسيلة جديدة. قد نكتشف فاعليتها أو لا. واجعل شغف التجربة بديلاً لشغف الانتصار. ومن المهم للمقاومة اللاعيفة أن توطن نفسها على النفس الطويل.

1 يمكن تحديد مواعيد انتهاء المعارك الجزئية من طرف المقاومة، كأن تخطط لحملة تستمر لمدة شهر ثم تنتهي، أما الحرب ضد الديكتاتوريات، فتتفاعل فيها كافة الأطراف بشكل يصعب فيه تحديد موعد النهاية، نفس الأمر ينطبق على الديكتاتوريات التي تتوهم أن بإمكانها تحديد المعركة الأخيرة مع الشعب.

* خطط لتقليل الخسائر (الحركية والسياسية والشعبية) قدر المستطاع.

* اهتم بالتخطيط للانسحاب المشرف إن لزم الأمر.

* احرص على التأكيد على عدالة القضية وأنها تستحق التضحية.

أثناء المعركة

من المهم وجود مجموعات تضع نصب عينها رفع معنويات المشاركين من خلال عدة وسائل مثل:

* رفع الصور (كصور شهداء)، واللافتات، والهتافات الموجهة للمشاركين

في النشاط، مثل هتاف «لن نهان».

* إعطاء معنى للقمع في وعي المتظاهرين، وكيفية استثماره، مثل ترديد هتاف

«اشهد يا عالم». فيدرك المتظاهرون أن هذا المشهد قد يؤثر عالمياً.

* المجموعات الباسلة التي تتحدى بجرأة لتكسر حاجز الخوف في النفوس

وتحيي الأمل.

بعد المعركة

* تأكيد عدالة القضية وضرورة استكمال المسيرة، وتجاوز المصالح

الشخصية إلى المصالح العامة، وتوحيد المجموعة على فكرة واضحة.¹

* إعادة صياغة ما جرى وتحديد الفوائد التي استفادتها المقاومة، مع تضخيم

هذه الفائدة (دون كذب). إنها إعادة قراءة للمشهد، مثل «لم يتمكنوا من أن

يسرقوا منا المسار السلمي». والدراسة العملية لأسباب الإخفاق والدعوة

إلى إبداع أفكار جديدة، حتى لا تتكرر الأزمة.

* ترميز الأماكن والمواقف. مثلما قام المصريون بعد مجزرة ميدان «رابعة

العدوية» في أغسطس 2013 بإكساب الميدان معنى جديد من خلال شعار

«رابعة».²

1 روبرت غرين، 33 استراتيجية للحرب، مكتبة العبيكان وكلمة، ط1، 2009، ص145.

2 ابتكار شعار رابعة كان من قبل الأتراك تضامناً معهم، ثم التقطه المصريون بعد ذلك.

* التوثيق الإعلامي للمعركة بحيث يمكن أن تُبنى عليها أنشطة لاحقاً كامتداد لها، وتحويل القمع إلى مكسب للمقاومة، وتحويل المتضررين بشكل مباشر إلى رموز للمقاومة.

* توضيح المسار والخطوة التالية.. الإجابة على سؤال (وماذا بعد؟)

* عدم الضغط على المتذمرين ليبقوا في الصف، فالضغط سيلجئهم لإثارة الهزيمة النفسية. أعطهم مطلق الحرية للانفصال عن المجموعة، مع فتح باب العودة إن غيروا رأيهم. ولا تهاجمهم أو تتهمهم بالجبن.

* توفير فريق من الأطباء النفسيين، والاهتمام بجلسات العلاج الجماعية لمن تعرضوا للصدمات كبيرة قد يترتب عليها كراهية كل شيء في المجتمع، والإحباط من إمكانية التغيير. وكما يتواجد الطبيب البشري بمشفاه الميداني في قلب المعركة، فإن الطبيب النفسي يجب أن ينصب مشفاه بعد المعركة. فصيانة النفس والجسد تسيران معاً.

* الاهتمام بإيجاد احتياطي بشري لا يشارك في المعركة، فهؤلاء لم يروا الأزمة، وستكون روحهم المعنوية عالية رغبة في المشاركة وتعويض ما فاتهم. فعبقرية الاستراحة تكون أحياناً سبباً في رفع المعنويات.. استراحة البعض وعدم الدفع بالجميع للساحات.

* القيام بتكتيك هجومي لا عنيف مفاجيء وخاطف شريطة ألا يترتب عليه خسائر في صفوف المقاومة، ولكنه فقط يهدف إلى استعادة الهيبة ورفع المعنويات، مثل القيام بتغيير أسماء الشوارع المهمة بأسماء للمعتقلين.¹

1 انظر أسلحة التدخل المباشر في كتاب أسلحة حرب اللاعنف.. إصدار أكاديمية التغيير.



صورة 28: شعار رابعة الذي تحول بعد ذلك إلى وسيلة تحية، وطبع على الأعلام والملابس، وتحولت «رابعة» إلى مفهوم يعكس معنى الصمود أمام قوات القمع.

* * * *

القاعدة الخامسة عشر

اصنع العضلة للخصم

تكون الاختيارات أمام النظام في التعامل مع الأعمال الاحتجاجية غالباً محصورة بين القمع بدرجاته المتنوعة، أو التجاهل التام لهذه الأنشطة، أو إفساد النشاط على المحتجين بدس مجموعة مخربة بينهم. وكلما امتلك النظام القدرة على الاختيار بحرية كاملة بين تلك الخيارات، واختيار أنسبها له؛ كانت المقاومة لا زالت بعيدة عن تحقيق النصر المنشود.

أولى خطوات الانتصار تكمن في وضع النظام في حالة تقلص حريته في الاختيار بين تلك البدائل المختلفة، وتجعل كل هذه الخيارات تنتهي بخسارة ما. بالضبط كما يحدث في لعبة الشطرنج عندما تضع الخصم في موقف لا يفكر فيه في الخطوة القادمة؛ وإنما يفكر في القطعة التي ينبغي عليه التضحية بها ليتمكن من البقاء في اللعبة.

وبالمثل يمكن القول أن من واجبات الحركة التغييرية صناعة معضلة للنظام، تنقله من حالة الاختيار الحريين البدائل إلى حالة الاختيار الحذر بين التضحيات. إنها حالة تجعل أياً من الخيارات والبدائل تصب في صالح المقاومة إن تم استخدامها.

فإن ترك النظام المحتجين، ربما زاد عددهم، وانتزعوا مساحات جديدة للحركة كانت محرمة عليهم. وإن رد عليهم بقسوة وعنف فإن مظهرهم السلمي المبالغ فيه يضعه في حرج محلي ودولي، وربما يؤثر في تمسك داعميه به. وإن دس مخربين وتبين بعد إمساحهم أنهم موالون للنظام، ارتد الأثر عليه مجدداً.

ومن أمثلة صناعة المعضلة، مسيرة الملح التي دعا إليها غاندي عام 1930، فقد كان إنتاج الملح يخضع للسلطات البريطانية. ولأن كل الناس في حاجة إلى

الملح، فقد دعا للزحف نحو البحر في مسيرة رمزية تكسر قانون احتكار الملح. الآن ماذا يفعل البريطانيون؟! إن أوقفوا المسيرة تحول غاندي ومن معه إلى أبطال، وإن تركوهم يكونون قد ساعدوهم على كسر القانون، وتكون سلطة الدولة فعلياً قد تهددت.¹

كان لغاندي أيضاً فكرة فريدة حين أراد أن يدعو لإضراب يوم 6 أبريل، لم يطالب الناس بالتوقف عن العمل، بل طالب الهنود بالخروج للصلاة، مما كان يحمل دلالة ضمنية على إيقاف العمل، فإن خرجت الهند كلها للصلاة سيتوقف كل شيء، وفي نفس الوقت لم يكن النظام ليقمع أناساً خرجوا للصلاة، وإن فعل تكون الفاجعة كبيرة.

أحد الأمثلة الأخرى على صناعة معضلة للنظام نراه في حالة قوانين حظر التجول التي قد تفرض في بعض الحالات للحيلولة بين المحتجين وبين تنظيم المسيرات. عندما يقرر المقاومون استبدال المسيرات بالأعراس والأفراح الجماعية فإنهم يخلقون معضلة لقوى القمع. فالعرس أو الفرح مكان اجتماع طبيعي. إن تركته قوات القمع يكون الاجتماع قد نجح وارتفعت معنويات المقاومين، وإن داهمته انقلب الغضب عليهم إعلامياً.. ما هذه السخافة.. قوات القمع تمنع المواطنين من إقامة الأعراس والأفراح!!²

وقد تستخدم المعضلة على مستوى تكتيكي صغير، إن أراد المحتجون مثلاً إيقاف طريق دون أن ينتهكوا القانون، أو يغضبوا الناس، يمكن أن يمشوا في هذا الطريق بموكب لأحد الأعراس يبطيء حركة السير، أو ترمي شاحنة حمولتها

1 سيردجا بوبايتش، أندريج مولافيچتش، سولوبودان دينوجونفيتش، الكفاح السلمي.. 50 نقطة

حاسمة، مركز تطبيق الاستراتيجيات وعمل اللاعنف، بلجراد، صربيا، 2006. ص 69.

2 نفس المصدر السابق، ص 68.

عليه، ويبدأ صاحبها في طلب المساعدة لرفع الحمولة، أو افتعال حادث مروري. كلها أفكار تكتيكية تصنع المعضلة، فماذا سيصنع النظام في تلك الحالات؟!

إن صناعة المعضلة يعني «التحدي الذكي»، وكسر القانون الجائر بمكر. هي استراتيجية يتغلب فيها الابتكار على الروتين. لتجعل النظام في كل مرة يبذل جهداً في التفكير في مخرج. إنها أقرب لصناعة المتاهة، التي تُدخل حركة المقاومة الواعية النظام فيها، لتجعل كل تحركاته خاضعة لها في الممرات التي رسمتها، حتى وإن خيّل إليه أن اليد العليا له.

صناعة الفخ

كذلك بإمكان المقاومة المحترفة أن تنصب لخصومها الأفخاخ. والفخ يختلف عن «المعضلة» التي تضع الخصم في حيرة بين خيارين أحلاهما مر، وهو يدرك ذلك حين يختار، أنه سيختار أخف الضررين، أما الفخ فليست فيه حيرة، إذ يندفع فيه الخصم وهو يظن أنه في قمة تألقه، ليكتشف أنه في قمة غبائه. فالفخ يعتمد على أن تعطي خصمك «الشعور بحرية الاختيار، مما يجعله يتقبل أمراً كان ليرفضه بشدة لو فُرض عليه»¹. فحين تعطيه حرية الاختيار، «يدخل الشرك الذي نصبته له بسهولة ودون مقاومة»². ولا تظن أنك بحاجة إلى أن توفر له مجموعة كبيرة من البدائل، فالعقل يضجر إن وجد أمامه خيارات مفتوحة، يحب دائماً أن يختار بين بدائل قليلة جداً ليتمكن من حسم أمره. هذا الأمر «يوفر للأذكاء والماكرين فرصاً هائلة للخداع، حيث لا يشعر

1 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولى، 2011، ص 385.

2 نفس المصدر السابق، ص 388.

من أمامهم بالخداع أو التلاعب به حين يفرضون عليه الاختيار بين بدائل قليلة، دون أن ينتبه أنهم يمنحونه القليل من حرية الاختيار، مقابل الكثير من فرض إرادتهم»¹.

خصائص الفخ

ويتميز الفخ بالخصائص التالية:

- * أن يكون جذاباً ومغرياً.
- * أن يعلم الخصم أنه سيحقق للمقاومة فيه مشكلة حقيقية.
- * يكون فيه قدر ضئيل من التحدي بحيث لا يتجنبه الخصم (يتوقف الأمر على شخصية القيادة).
- * أن يشعر الخصم أنه اختاره بمحض إرادته من بين مجموعة خيارات.
- * ألا تقع المقاومة نفسها فيه.

ومن المهم كذلك التمييز بين الفخ والتمويه، فالتمويه يعتمد على توجيه النظر في اتجاه بينما يكون التحرك في اتجاه آخر، أما الفخ فهو استدراج لإلحاق هزيمة. فعندما تدعو المقاومة إلى تظاهرة في مكان ثم تقوم بها في مكان آخر فقد قامت بعملية تمويه، أما عندما تدعو لتظاهرة، وتجعلها بعدد قليل نصفهم من الصحفيين ووكالات الأنباء. ثم يغري العدد القليل قوى القمع بالضرب والاعتقال، هنا قد وقعوا في الفخ.

الدمج بين الفخ والمعضلة

وإن أرادت المقاومة أن تكون أكثر احترافاً تدمج بين «المعضلة» و «الفخ»، «فتحدد خيارات خصومها في البدائل التي تصب جميعاً في صالحها هي، أو تضعهم بين قرني معضلة بحيث يختارون بين شرين أحلاهما مر»².

¹ نفس المصدر السابق، ص 392.

² روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولى، 2011، ص 385.

على الناحية الأخرى يجب أن تنتبه المقاومة أيضاً للمعضلة التي يضعها فيها النظام، وتتجنب قدر الإمكان الوقوع في الفخاخ التي ينصبها النظام، من خلال سد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها كيده إلى أنشطتها.



القاعدة السادسة عشر

احذر عند استخدام
استراتيجية التدخل الخشن

عندما تُسد القنوات الدستورية قد تلجأ بعض الحركات إلى درجة من درجات العنف لها طبيعة خاصة. فهي لا تتعلق بحرق المنشآت وتدمير الممتلكات العامة، كما لا ترتبط بعنف إزهاق الأرواح وإراقة الدماء؛ وإنما هو «تدخل خشن» يصحبه قدر عالٍ من التعقل والأخلاق النبيلة. خاصة حين يوضع في سياق رد الفعل على جرائم دموية من قبل القوات القمعية التي تسفك الدماء، وتزهق الأرواح.

والتدخل الخشن هدفه بناء المسار السلمي، وتزويده بأدوات تجعله محصناً بحيث لا يخترقه العمل العنيف تحت ضغط الواقع، إنه شكل من أشكال التصعيد الذي يحاصر العنف ويقلص دائرته، ويطفئ ناره. وبالأخص في الحالات التي يُتوقع فيها اندلاعه.

ومن أمثلة هذا النوع من التدخل الخشن ما تقوم به حركات السلام من إيقاف الجرافات التي ستقتلع الأشجار، بوضع الرمل في خزان وقود المركبة.¹ أو إتلاف ملفات على الحاسوب.²

ضوابط التدخل الخشن

وهنا سنجد أن المقاومين لا يوغلون في التخريب الشائع في الأذهان، والمرتبط بإشعال الحرائق في المنشآت والدمار، ولكنهم يقفون على تخومه بوعي شديد ويلجأون إلى أشكال أخرى. تضبطهم في ذلك عدة ضوابط مثل:

1. الرضا الشعبي: ويعني قبول نسبة كبيرة من عموم الناس - وليس قبول الحركات المقاومة³ - بالعمل. مثل تشويه إعلان دعائي في الشارع،

1 Brian Martin, Nonviolence versus Capitalism. London: War Resisters, International, 2001. p.133

2 نفس المصدر السابق

3 قد تغتر بعض الحركات بأن شبائها لديه إجماع على القيام بعمل عنيف، وليس هذا مقصدنا، ولكن =

فهذا تخريب للإعلان ربما لا يعبأ به الناس أو يدينونه، بل قد يتعاطفون مع هذا السلوك، خاصة إن تمت معالجة الإعلان برسم مبهر وليس مجرد تشويه.¹ أو مثلما يحدث حين تعترض مجموعات السلام المناهضة للتجارب النووية مسار قطار محمل بنفايات نووية، مع ضمان سلامة القطار وركابه. فالوعي الشعبي العام يقبل هذا العمل، وليس لديه تحفظات على اعتراض مسيرة قطار أو باخرة تحمل نفايات نووية، لكن هذا العمل سيكون مرفوضاً شعبياً مثلاً في حالة اعتراض مسار قطار سفر يحمل ركاباً. كذلك فإن الطريقة التي يتم بها العمل يجب الانتباه إليها، فالوعي العام قد يقبل إيقاف القطار، لكنه لا يقبل إشعال النار فيه، حتى ولو لم يكن فيه أي إنسان. والرضا هنا غير مرتبط بالرضا بالقضية، فقد يرفض خصومك السياسيون مطالبك، لكنهم لا يرفضونك وسيلتك لتحقيقها.

2. لا يلحق الأضرار²: بعموم المواطنين، أو يروع الأمنين. فنشر

=الأساس هو الرضا الشعبي عن الوسائل والتكتيكات المستخدمة. وليس معيار الرضا الشعبي هنا هو المشاركة الشعبية، أو حتى الاقتناع بالقضية المطروحة ذاتها، ولكن المعيار هو عدم إدانة الوسيلة. فافتحام مقر شركة مشهورة بالفساد، وإشعال النيران فيها ربما لا يضر قطاعات واسعة من الناس، لكن الوعي الجمعي يدين المشهد ويرفضه، وبالتالي فهذا النوع من العمل مرفوض لأنه أدخل بأحد الضوابط.

1 نفس المرجع السابق.

2 نميز هنا بين "الضرر" و"التكلفة"، فعملية التغيير تتطلب "تكلفة"، يؤديها الناس برضا. فإن غاب الرضا يتحول تقدير الناس للتكلفة بأنها غير محتملة، ومن ثم تتحول حينها من مجرد "تكلفة" إلى "ضرر". فعلى سبيل المثال، قد يشارك مجموعة من الأفراد في محاضرة علمية مدتها ثلاث ساعات وبقيمة نقدية محددة. البعض المعجب بالمحاضرة سيراهم مفيدة، وبالتالي ستكون هناك حالة من الرضا عن "التكلفة" حتى وإن عظمت. بينما البعض الآخر غير المعجب بالمحاضرة سيرى أنه أهدر ثلاث ساعات من وقته، وأهدر ماله، وبالتالي تتحول "التكلفة" - حتى وإن قلت - بالنسبة له إلى "ضرر". وهكذا تحدد حالة الرضا أو السخط العام نظرة المشاركين؛ بل وحتى المفردات التي سيستخدمونها للتعبير عن رؤيتهم للمحاضرة ما بين "التكلفة" و"الضرر".

فيروسات على بعض المواقع الإلكترونية الحكومية والخدمية قد يضر الخصم فعلاً، ولكنه أيضاً قد يسبب الضرر لعموم المواطنين؛ بل وبالطبع سيطل هذا الضرر المتمين للحركات المقاومة، لذلك فهي مرفوضة، إلا أن يتم الإعلان قبلها ليوطن المواطنون أنفسهم على ذلك. بينما عندما تخفي مجموعة مهمة بحماية الغابات أوراق مناقصة تقدمت بها شركة تقتلع الأشجار؛¹ فهذا نوع من الفعل لا يلحق أضراراً بالناس وربما يدعمونه، خاصة إن توفرت درجة عالية من الرفض لممارسات الشركة.

3. **التعطيل وليس التدمير:** فالحركات السلمية المقاومة لتصنيع أسلحة الدمار والداعية إلى وقف التسليح لا تشعل النار في الآلات أو المصانع أو السيارات التي تنقل الأسلحة، ولكنها قد تعطلها عن العمل بنزع بعض أجزاء الآلات. وهذا يتطلب وعياً بطبيعة التعطيل المطلوبة. فإيقاف سيارة محملة بالأسلحة لا يتطلب إشعال النار فيها أو تفجيرها. يمكن لمسامير تعترض طريقها أن توقفها. والتعطيل أو التدمير هنا مقيد بالضوابط السابقة، فقطع «كابل» الهاتف الذي يمد الملايين بالخدمة، يعد تعطيلًا محدوداً، لكنه يضر الملايين لذلك فهو مرفوض. بينما قطع النور في اجتماع لحزب فاسد يخطط لتهريب أموال البلد، ربما يحظى بدعم شعبي.

4. **لا يضر بالمسار السلمي العام:** ولا يتسبب في توليد مسار عنيف، ولكنه يحاصر بهذا التدخل المدروس اندلاع العنف. خاصة حين يضيق الناس بالسبل السلمية التقليدية، ويتشكل مزاج عام متجه للعنف. ف«التدخل

1 نفس المصدر السابق.

«الخشن» في هذه الحالة أقرب ما يكون لاستراتيجية إطفاء بركان بنار صغيرة، وهي الاستراتيجية التي تتطلب عقلاً واعياً، وذهناً حاضراً، وحرفية وخبرة عاليتين. وأي خطأ فيها ولو بسيط قد يزيد النار اشتعالاً ويزيد الوضع تأزماً ومأساويةً. واستراتيجية وتكتيكات «التدخل الخشن» إن لم تُضبط وتُمَارَس بعقل واعٍ وأخلاق عالية ومسؤولية كاملة، وفي إطار استراتيجية لاعنفية شاملة قد تؤدي بالمسار السلمي كلفةً، أو على الأقل تجعل العنف هو الطابع الغالب لمشروع التغيير.

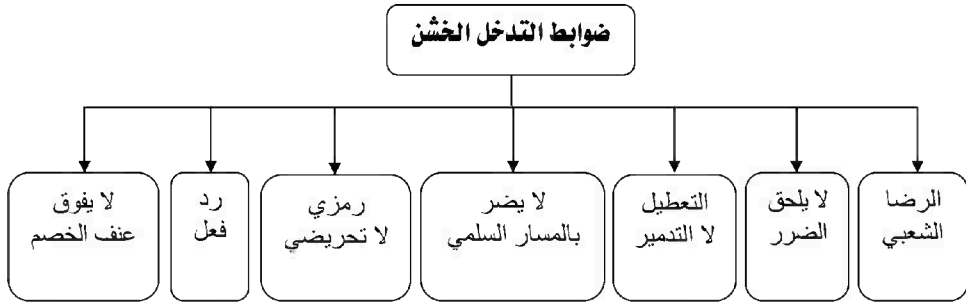
5. رمزي لا تحريضي: أي أن القائمين عليه لا يقومون بتحريض الحركات والمجموعات المقاومة الأخرى على انتهاجه، ولا تُدعى عموم الجماهير للمشاركة فيه، لأن الحماس قد يجرفها فتندفع لأعمال عنف. وإنما هو نشاط تقوم به مجموعة متخصصة¹، وفي بعض الحالات تعلن الحركات مسؤوليتها وتسلم نفسها للشرطة، لتؤكد أنها كسرت قانوناً جائراً يحمي الفساد. لكنها ليست ضد فكرة سيادة القانون، وأنها مستعدة لتحمل العقوبة. فهي تريد فقط إبراز الجانب الجائر في القانون. كما أنها تؤكد بذلك أن الفاعلين ليسوا مخربين مأجورين. أما الجماهير فلا تُستدعى إلا في حالات تتعلق بممتلكاتهم الشخصية، مثل دعوتهم لحرق الفواتير الشخصية، وهي تشبه دعوة غاندي في جنوب أفريقيا، حين طالب الهنود بحرق تصاريحهم الخاصة، التي كانت تُطلب منهم دون الأوروبيين، والتي تعتبر وثيقة حكومية. وغالباً ما يكون العمل

1 لا يقصد بالمجموعات المتخصصة هنا أن يتم إعداد هذه المجموعات عسكرياً أو أن يتم تدريبها على حرب الشوارع أو العصابات أو الاختراق والتسلل؛ إنما نقصد أن تكون مجموعات معدة عقلياً ونفسياً بشكل جيد على مسار اللاعنّف بما يمكنها من ضبط التكتيكات بالضوابط المذكورة. كما أنها تمتلك من الجوانب الفنية ما يمكنها من تحقيق التعطيل بما لا يؤدي إلى التدمير.

أيضاً رمزياً في مدته، فلا يستمر لفترات طويلة. لأن هدفه إيصال رسالة محددة توحى بالقدرة على الفعل.

6. رد فعل: فهو ليس عملاً هجومياً عدوانياً، وإنما رد فعل على حدث جلل، ربما يلجأ الكثيرون لاتخاذ رد فعل عنيف تجاهه، هنا تلجأ الحركات اللاعنيفة لأساليب التدخل الخشن حتى لا يندلع العنف.

7. لا يفوق عنف الخصم: وهذا ينطبق على أي رد فعل وليس فقط العنف السياسي، فإن سَبَّك جارك أصبحت مظلوماً، فإن رددت عليه بمنع الطعام والشراب عنه حتى الموت أصبحت ظالماً. وحينها يقف الناس ضدك، وينكرون فعلتك. أنت تريد أن تنير عقل المجتمع وعقل خصومك. ووسائلك المميزة كفيلة بذلك. كونك مظلوماً لا يمنحك حق فعل أي شيء، والضرر لا يُدفع بضرر أكبر منه.



شكل 13: يوضح ضوابط التدخل الخشن الذي يقي الحراك

التغييري من الوقوع في دوامة العنف

ويقاس الموقف من العنف بصفة عامة بناء على ما سبق، سواء كان عنفاً لفظياً أو بدياً أو مادياً، فالضوابط السابقة هي التي تحدد درجة الاقتراب منه، لذلك قد يكون العنف اللفظي أحياناً مداناً لأنه سيعزل قطاعات واسعة من الناس التي لا تنسجم ثقافتها مع ذلك السلوك، أو أنه سيكون مقدمة لاندلاع

عنف بدني نظراً لاستفزاز الطرف الآخر. في حين يكون العنف البدني المحدود في إطار حماية فتاة من اعتداء مجموعة من مثيري الشغب أمراً مقبولاً مجتمعياً. فالمعيار هنا سيكون القدر المقبول لإطفاء نار العنف وليس إشعالها. لذلك صُنفت انتفاضة أطفال الحجارة في فلسطين في عداد الحركات اللاعنيفة¹ من عدة أوجه:

* اعتبار طبيعة الخصم: محتل يجيز القانون الدولي قتاله. (وهنا فالتعاطف العام مع الفعل موجود).

* اعتبار السلاح المضاد: رصاص ودبابات ومدركات .. الخ (فلا يوجد وجه مقارنة بين الحجارة من جهة والرصاص من جهة أخرى).

* اعتبار الفاعل: حيث نُسبت الانتفاضة لصبية ينحتون في الأرض لطرده المحتل. هذا السلوك الذي أكسبهم دعماً كبيراً.

* المساحة التي احتلها العنف الحجارة: فقد شملت الانتفاضة أعمالاً كثيرة مثل الإضرابات، والدعوة إلى قيام مؤسسات بديلة، ومقاطعة بعض السلع، وتقديم الاستقالات.... الخ²

وبالتالي ما تعتبره هنا «حرب اللاعنف» ضمن حدودها (من تدخل خشن ليس من أدواته الأسلحة القاتلة كالأسلحة البيضاء أو العسكرية) قد تلفظه تماماً في حالات أخرى لا تتوفر فيها الضوابط السابقة، فربما تقبل العنف الحجارة في حالة، بينما ترفض مجرد العنف اللفظي في حالة أخرى.

وعندما نجد الشعب اليمني المسلح بطبعه يضع سلاحه ويتظاهر، ومع شدة

1 يمكن الرجوع إلى كتاب "نعم للمقاومة لا للعنف" تأليف د وليد صليبي، توزيع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، حيث يتعرض فيه للإنجازات التي حققتها انتفاضة الحجارة، ومدى تأثيرها على الصعيد المحلي والدولي.

2 د. وليد صلابي، نعم للمقاومة لا للعنف، توزيع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، 2005، ص 30.

القمع يكتفي بتوفير حماية للتظاهرات؛ فهذا تقدم كبير من أجل الحفاظ على المسار السلمي في شعب مسلح. يصعب قياس الحالة ودعوة شعب أعزل بطبيعته إلى التسلح من أجل حماية التظاهرات لمجرد أن قوات القمع تستخدم أسلحة مكافحة الشغب. فالوعي العام يقبل الحالة الأولى ويعتبر هذا التكتيك الدفاعي هو قمة التحضر في هذا البلد. بينما الوعي العام في الحالة الثانية قد يؤدي إلى عزوف كامل عن المشاركة، بل وربما اتهام المسلحين بالإرهاب وتمني القضاء عليهم.

لذلك تخطيء بعض الحركات والأفراد الذين لديهم نزوع للعنف، حين تقيس استخدام العنف على ممارسات سابقة كان يؤيدها فيها الناس، ولا تراعي في قياسها سوى عنصر «الأداة».. فتقول على سبيل المثال.. «لقد استخدمنا الحجارة من قبل ولم يستنكر أحد. فلماذا تنكرون علينا اليوم؟!».

وهنا يجب الانتباه إلى أن الرضا الشعبي أشبه بتصويت عام على حالة كاملة وليس فقط على وسيلة، فهو أقر الوسيلة (أو تغاضى عنها) في ظل ظروف محددة، بكراس شروط خاص، وليس إقراراً عاماً باستخدام الوسيلة في كل حالة. ويدخل في المعطيات المتغيرة عدة عناصر، مثل القضية التي يكافح من أجلها، ووجود مسارات بديلة، وتوقيت الكفاح، وطبيعة الخصم ومدى تقدير المجتمع له، وطبيعة المقاومة.

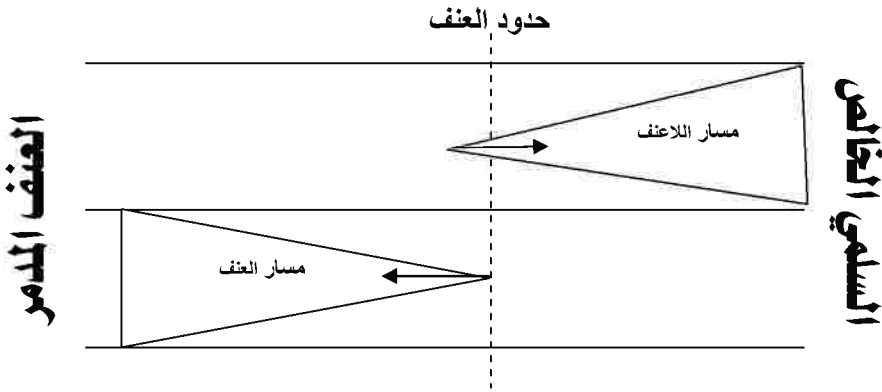
ولا ينسحب ذلك على أدوات العنف فحسب، بل قد يبارك الشعب اعتصاماً في حالة محددة، ويرفضه في حالات أخرى ويعتبره تعطيلاً للعمل. لذلك فالتفكير من منظور الوسيلة فقط لا يسعفنا في إطلاق أحكام صحيحة، لأنه يشوش الرؤية ويضلل التفكير.

الفرق بين المسار العنيف واللاعنيف

إن كانت بعض الحركات اللاعنيفة تلجأ لوسائل التدخل الخشن، فما معنى

ذلك؟! أليس «اللاعنف» يعني «ضد العنف»؟!

حرب اللاعنف تندلع بالفعل في بيئة ديكتاتورية عنيفة، فهي طارئة عليها وليست منشئة لها، لذلك فإن السؤال الأكثر عملية هو.. كيف يتمكن المؤمنون بالمسار السلمي من مواجهة تحديات العنف دون أن ينحرفوا عن المسار الأساسي؟! كيف تتجه وسائلهم بالمجتمع نحو الوصول إلى المسار السلمي الخالص، لا الوصول إلى العنف المدمر؟!



شكل 14: حركة اللاعنف تتجه في مسارها نحو النضال السلمي الخالص، وهي إن اضطرت للتدخل الخشن فهي تقف على حدود العنف وفق ضوابط صارمة، يأتي على رأسها التعاطف والرضا الشعبي وعدم إزهاق الأرواح أو تدمير الممتلكات العامة، وعدم الانجراف في مسار العنف. وهو ما يميزه عن مسار العنف الذي يتجه نحو تطوير العنف والاعتماد عليه حتى يصل إلى حدوده القصوى.

إن المقاومين في حرب اللاعنف يؤمنون بحرمة الدم، وجرم الإفساد في الأرض، ويعلمون أن دورهم هو حصار العنف لا توليده، وهو ما يميز أسلوبهم عن الأساليب التي تتغذى بالعنف وتنمو من خلاله. لذلك حين يضطرون لمثل هذه الوسائل في الصراعات الحادة ضد الديكتاتوريات، أو في القضايا المصيرية

التي تغلق فيها كافة السبل الدستورية؛ فإنهم يقومون بها بفن بالغ، وبحذر شديد، وبصورة حضارية يصعب أن تكون محل إنكار.

إن «حرب اللاعنف» تقف أحياناً على شاطئ «التخريب والعنف» دون أن تبهر في محيطه فتغرقها أمواجه، وتفتك بالمجتمع دواماته، فهي كمن يجمع ملح البحر على الشاطئ دون أن يلج في عمق البحر. لأن التوسع في طبيعة وحدود وملابس العنف قد تؤدي إلى دمار وترويع وعزوف جماهيري عن المشاركة، والحركات اللاعنيفة تسعى منذ البدايات لتأكيد سلميتها حتى لا تُخترق بمن يقومون بأعمال عنف وتخريب غير منضبط تُسبب لها.

حالات استخدام التدخل الخشن

* إظهار قضية بشكل واضح وملفت.

* القمع الشديد في النظم الديكتاتورية، وانسداد كل المسارات الدستورية.

* وجود نزوع للعنف لدى المحتجين، وهنا تأتي هذه الأعمال بهدف وقائي يحول دون اندلاعه، وتساعد في ترشيد مساره، وتحديد مسارات الغضب.

موقف الحركات اللاعنيفة من التدخل الخشن

وعلى الصعيد العملي نجد الكثير من حركات ومنظري اللاعنف ترفض كلية الاقتراب من هذه المساحة حتى لو تمت مراعاة تلك الضوابط، خشية التوسع وعدم إمكان السيطرة عليها. فهي تعتبر فكرة «التدخل الخشن» ثغرة يمكن أن ينفذ من خلالها أي مخرب. وترى أن قليلاً من العنف المرفوض قد يفسد مسارهم بالكامل.

أما القليل من الحركات فتري أن كل حالة تدرس على حدة، وأن الحركات التي تتمتع بقدر من المركزية والسيطرة على أعضائها يمكنها أن تدخل هذه المساحة بحذر وتعقل شديدين.

القاعدة السابعة عشر
تأكيد السامية من اليوم
الأول يقطع الطريق على
تهمة (الإرهاب)

عادةً ما تتخذ الأنظمة الديكتاتورية من كلمة «الإرهاب» مبرراً لقمع مخالفيها، حينها ينشغل رد فعل المقاومة ببذل الجهود في نفي تهمة الإرهاب عنها، وتأكيد تمسكها بالخيار السلمي.

في بعض الحالات لا تجد هذه التهمة أذناً صاغية لدى عموم الجماهير، بل يمكن تحويلها إلى موضوع ساخر، مثلما فعلت حركة المقاومة الصربية «أوتبور»، حين أعلن في عهد ميلوسوفيتش أنها منظمة إرهابية. فقامت بعمل عروض تمثيلية ساخرة في الشارع كنوع من الاحتجاج، يظهر في العرض المسرحي شاب نحيف البنية، يرتدي نظارة، وهو مدان لأنه يرتدي نظارة مما يدل على أنه كثير القراءة، وهي صفة غير محببة من النظام في تلك البلد، كما يحذر أحد الممثلين الجمهور من الاقتراب منه أو الحديث معه، لأنه إرهابي كما يدعي النظام.¹



صورة 29: حركة المقاومة الصربية في عام 2000 تقدم «عرضاً مسرحياً» ساخراً في الشارع بعد اتهامها بأنها جماعة إرهابية، ويُرَى في الصورة فتى نحيفاً يرتدي نظارة وعلى الجميع ألا يقترب منه أو يتحدث معه حيث أنه إرهابي كما يدعي النظام

1 Bringing Down a Dictator (2000). York Zimmerman Inc./ WETA Washington, D.C. DVD, 180 Min., USA: YZI..

وفي حالات أخرى يصدق المجتمع هذا الادعاء إن تهاونت الحركة خلال مسيرتها في:

- * إدانة أي ممارسات عنيفة من خارجها.
- * إدانة أي ممارسات عنيفة من داخلها.
- * عدم اتخاذ مواقف حاسمة مع أصحاب التوجه العنيف داخل الحركة.
- * التحالف مع أصحاب التوجهات العنيفة.

في هذه الحالة وحتى مع ادعاء حركة المقاومة سلميتها، فإنها تصبح مثار ريبة وشك من الناس، كما يستغل النظام هذه الثغرة من الخطأ الممتد المسكوت عنه. إن من أخطر ما تصاب به حركة؛ أن تكتشف أن مسيرتها زادت من قابليتها لأن توصم بالإرهاب في وعي الناس.

إن معركة السمعة لا تُشن فجأة، بل يتم التجهيز لها على فترات طويلة من رصد الأخطاء، وربما أغرى الخصم المقاومة بسكوته في الوقوع في المزيد من الأخطاء. أو أظهر أنه يتأثر سلباً بهذه الأخطاء، ومن ثم تبالغ المقاومة فيها وتقع في الفخ.¹

لذلك فإن اتقاء شر معركة السمعة يتطلب الانتباه من البداية، وتحسس مواضع الأقدام، فتهديد السمعة يعرض الحركة للهجمات والضربات من كل جانب.² وهو نوع خطير من المعارك.. تنتهي قبل أن تبدأ، ففتح الملفات المسيئة للسمعة هو آخر خطوة فيها.

كيف تؤكد الحركة سلميتها وتحافظ على سمعتها؟

إن «السلمية» ليست شعاراً تردده الحركة لتؤكد تمسكها بالعمل السلمي، وليست لوحة تُرفع لإثبات حسن النوايا، وإنما يجب أن تكون أوضح من ذلك

1 مثل أن يظهر الخصم قدراً من التأثير السلبي بكرات اللهب حين ترمى عليه، فيغري المقاومة بارتكاب المزيد من الأخطاء، ثم يبدأ معركة السمعة لاحقاً بعد أن يكون أخذ مراده.

2 روبرت غرين، قواعد السطوة، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، الطبعة الأولى، 2011، ص 8.

لتشمل عمق ثقافة الحركة وتركيبها وطبيعة المنضمين لها. خاصة أن الأنظمة الديكتاتورية عادة ما تلجأ إلى نعت الحركات السلمية بالإرهاب، وربما تلفيق تهم العنف والتخريب لها، حتى ينفض الناس عنها ويكفرون بها.

على الناحية الأخرى تسعى حركات التغيير إلى كسب الجماهير، التي عادة ما ترفض الانضمام أو مساندة حركة «إرهابية» - بحسب وصف الأنظمة - تعتمد العنف في كفاحها من أجل تحرير الأوطان من الاستبداد وليس الاحتلال.

هنا تبرز الحاجة إلى أن تهتم الحركة بتأكيد صبغتها السلمية منذ اليوم الأول، وسد الثغرات التي قد تمكن النظام من استهداف الحركة بآلته الدعائية. وعملية سد الثغرات تجعل مجرد الحديث عن اتهامها بالتخريب والعنف مدعاة للسخرية من قبل عموم الناس. كمن يتهم غاندي بأنه وراء أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وتصميم شكل الحركة يتطلب فناً ومهارة كتصميم الأزياء، كيف سترتدي الحركة فستاناً يبهز الناظر، من حيث الأناقة، وبديع الألوان، واحترام تقاليد المجتمع. كيف ستبرز مفاتن سلميتها التي تخلق الأنظار. قد تكون الحركة بالفعل سلمية، لكن علامة «السلمية» في هيئتها الظاهرة لا تتعدى زراً صغيراً تحبّه ياقة فستانها العريضة، حينها تقول الحركة «نحن سلميون.. سلميون»، لكن الزر لا يكفي للتعبير عن السلمية، فهو عرضة للوقوع في أية لحظة، ناهيك عن إمكانية رؤيته أو الانتباه إليه.

الفن هنا أن تكون «السلمية» هي اللون الأساسي للثوب، بل هي الصبغة العامة لتصميم الثوب، هي الخيوط التي نسجته. ولا تصبح مجرد إكسسورات مكملة للثوب، العبقرية أن تكون هي قماش الثوب لا حلية طارئة عليه يمكن تغييرها.

هناك حركات أحسنت تأسيس نفسها من اليوم الأول، وهي التي بذل قاداتها جهداً في دراسة منهج اللاعنّف بشكل موسع، كما درست العنف وأحسنت فهم لغته

وطريقة عمله. وبالتالي فهي تستوعب جيداً على أي أسس بدأت. وهناك حركات أخرى بدأت بالشعار العام «سلمية»، دون عمق معرفي، وقد تكون تورطت بالفعل في بعض أشكال العنف المحدود. هذا الصنف من الحركات يحتاج إلى ارتداء ثوب جديد بتصميم مختلف يعكس أخلاقياتها وميولها، لتعيد تعريف هويتها.

سنسرد هنا مجموعة من الوسائل التي تساعد الحركات بصنفيها، في تأكيد سلميتها وإعادة تعريف نفسها. بعض الوسائل تتعلق بتغييرات في بنية الحركة، وأخرى تتعلق بأنشطتها.

أولاً: مستوى بنية الحركة

إن لم تكن الروح السلمية واضحة من بداية التأسيس، فربما يكون قد انضم للحركة من يتفقون في أهدافها، لكنهم قد يجنحون إلى العنف، خاصة وأنهم لم يجدوا في الحركة إنكاراً واضحاً. في مثل هذا النوع من الحركات يتطلب الأمر تغييرات بنيوية في الحركة من خلال:

العضوية

* وضع لائحة منشورة تبين مركزية التمسك بالسلمية، وتسن قوانين تكافيء من يبدعون في تطوير العمل السلمي أو ينضبطون بالمسار، ويتمكنون من حصار عنف، كما تكون هناك عقوبات متدرجة لمن يجنحون للعنف.

* التوثيق والاعتماد في الحركة يكون من خلال اجتياز دورات واختبارات تتعلق بثقافة اللاعنف.

* استبعاد أصحاب الميول العنيفة، من خلال إعادة التعريف بالحركة وثقافتها وفلسفتها وشروط الانضمام لها والانفصال عنها. حتى ولو أدى ذلك إلى تقليل عدد أعضاء الحركة بانسحابات واسعة، لأن آخرين ممن كانوا يشكون في توجه الحركة - سينضمون للحركة بناء على التعريف

الجديد الواضح.

التثقيف

* وجود مكون ثقافي عن العمل السلمي يتدارسه أعضاء الحركة بشكل دوري، مثل تدارس كتابات اللاعنف المتنوعة، بالإضافة إلى الدورات التثقيفية. وتهتم الحركة بنشر أهم الأدبيات التي تعتمد عليها في عملها.

التدريب

* على التعامل مع الحالات المتنوعة للقمع سواء فيما يتعلق بالهجوم، أو الاستخدام الأمثل لأساليب الحماية أو السلوك المناسب أثناء الاعتقال، وكيفية التعامل مع وسائل الإعلام. وكيفية تصوير الأحداث، وصناعة التقارير التلفزيونية التي تدعم المقاومة.

* الدورات التدريبية المتخصصة في ضبط النفس خاصة لمن يتصدرون الصفوف الأمامية، أو من تكون مهامهم حماية التظاهرات.



صورة 30: مجموعة تتدرب على الجلوس أرضاً مع تشابك الأذرع للصمود أمام التفريق أطول فترة ممكنة دون رد، وفي التدريب بعد الجلوس على هذه الهيئة يحاول زملاؤهم تفريقهم.



صورة 31: مجموعة من حركة الجرين بيس تتدرب على الوقوف مع تشابك الأيدي من خلف الظهر.



صورة 32: مجموعة من حركة الجرين بيس يتدربون على التعامل مع حالات الاعتقال وتوثيق اليدين بدون مقاومة.



صورة 33: مجموعة من حركة جرين بيس يتدربون على الكلمة التي سيقولونها للإعلام أثناء توقيفهم أمام سيارة الشرطة.



صورة 34: مجموعة من حركة جرين بيس يتدربون على كيفية الخروج من سيارة الشرطة، حيث يمكن أن توجه رسالة مقصودة للجماهير في هذا الموقف.

التطوير

وجود مجموعة أو قسم في الحركة يتركز دوره في تطوير وسائل الاحتجاج والتصعيد والتعامل مع القمع من خلال فلسفة حرب اللاعنف.

ثانياً: مستوى الأنشطة

كذلك من المهم أن تعكس الأنشطة التي تمارسها الحركة مدى تجذر ثقافة العمل السلمي لديها، ومدى حرصها على نشرها، ويمكن في سبيل ذلك اعتماد عدة وسائل مثل:

* نشر ثقافة اللاعنف بشكل منهجي علمي بين الناس من خلال دورات تدريبية وأفلام ومسارح وحملات متنوعة.

* عقد مناظرات بين أصحاب الرؤية العنيفة والرؤية اللاعنيفة لإدارة الصراع السياسي.

* إصدار نشرات دورية تؤصل لمفهوم اللاعنف وأحدث استراتيجياته وتكتيكاته.

* إنتاج أفلام وإعلانات وكتابة روايات خاصة بثقافة العمل السلمي.

* عقد مؤتمراً سنوياً برعاية الحركة لاستعراض أهم ما وصل إليه العمل السلمي من وسائل للاحتجاج أو التصعيد أو مقاومة القمع.

* عمل معارض صور دورية حول اللاعنف ووسائله.

* دخول ثقافة الحركة في المدرسة والجامعة من خلال مواد تبسيطية

تناسب مع كل عمر من أجل تأسيس جيل يستوعب العمل السلمي

بشكل واضح. وبذلك يكون للحركة دور في تنمية المجتمع من خلال

نشر ثقافة التغيير بدون عنف.

* عمل مناورة سنوية تستعرض أحدث ما توصلت إليه الحركة من وسائل

الاحتجاج والتعامل مع القمع، في مشاهد تحاكي ما يمكن أن يحدث في الطبيعة.

- * إصدار دوريات توجه خطابها إلى الشرطة وتوزع على مقارها.
- * الاعتماد على التكتيكات التي تستهدف خلق حوار مستمر مع الجماهير.
- * فلا تدوير الحركة ظهرها للجماهير وهي تخاطب النظام.
- * دعوة عموم الناس لورشة تدينية خاص بحملة محددة، حيث يتم دعوة الراغبين في المشاركة قبل الحملة، وإعلامهم بأهم ما يجب التعرف عليه لإنجاح الحملة.
- * الاهتمام بالمحيط السكاني الذي تتواجد فيه الحركة، والاهتمام بأنشطة البناء والتواصل والدفاع عن حقوق الناس، والبحث في مشاكلهم، فهؤلاء من سيدافعون عن الحركة لاحقاً في أوقات الأزمات. وهذه هي الأعمال الوقائية من ضربات التشويه.

كانت هذه الوسائل المنتقاة خطوة نحو جعل «سلمية» ليست كلمة تقال أو شعاراً يُرفع، بل تصبح محركاً أساسياً للحركة. حينها يصعب اتهام مثل هذا النوع من الحركات بالإرهاب، أو تشويه صورتها أمام الناس. فلها نشاط طويل ممتد في المجتمع لترسيخ الثقافة، كما أنها تسهم بدور كبير في تأسيس مجتمع مدني يدير صراعاته السياسية بشكل متحضر.

القاعدة الثامنة عشر

**اجعل التخلص منك
ليس في صالح خصمك**

في بعض الأحيان يكون ارتباط الشعب بالقيادة التغييرية - حتى إن تنوعت وتعددت - كارتباط الجسم بأظافره، بعد فترة يتخلص منها، ولا يبالي بذلك. فهو الذي دعمها حين قرر أن يربي أظافره، وهو الذي تخلى عنها لعدم اقتناعه بها، أو لسوء مظهرها، أو لأن سلوكياتها أصبحت تؤلمه، وتخدشه، أو هكذا يظن.

ومن أسباب ذلك أن المجتمع لا يشعر بولاء فعلي لتلك القيادة، ولا لأفكارها، فهي بالنسبة له مجهولة تماماً، وربما لا يعرفها، غير أنه لبى نداءها لأنه وجد فيها تجسيد مطالبه هو، لكنه مع أي تحول في المواقف، لا يعبأ بتلك القيادات، وقد يتشكك فيها أيضاً.

استراتيجية زراعة الشرايين

لذلك كانت استراتيجية «زراعة الشرايين»، حيث يكون ارتباط الشعب بالقيادة التغييرية حيويًا، وذلك يقتضي التحول من كون القيادات مجرد أظافر يُتخلص منها إلى بنى مفصلية في المجتمع، يتعرف عليها عن قرب، ويشعر تجاهها بالأمان، ويثق في وطنيتها وإخلاصها، وهذه الاستراتيجية تأخذ أشكالاً تنفيذية متنوعة، نذكر منها على سبيل المثال:

- * صناعة رموز شعبية من خلال الإعلام والعمل العام.
- * الاندماج الكامل مع الجماهير من خلال حملات ومشاريع ميدانية تلتحم بالناس، وتجعلهم يساهمون في علاج التحديات التي تواجههم في أحيائهم.
- * زرع الثقة في الجماهير وتوعيتهم بالمستقبل المراد تحقيقه، أكثر من تخويفهم من الحاضر، فاليأس والخوف عدوان قاتلان.
- * العمل الجاد البناء ومساندة الناس في الشعور بإمكانية الفعل على

مستواهم الشخصي، وذلك من خلال مؤسسات تؤهل الفرد وتجعله فاعلاً في المجتمع.

* تفعيل وبناء المؤسسات الحيوية في المجتمع، التي يرتبط بها الناس ارتباطاً وثيقاً، (النوادي - المراكز التعليمية - المراكز الصحية -.. الخ)، فتكون هي وسائل بنائه وتنظيمه وحشده.

تتأخر بعض الحركات في تثبيت جذورها في المجتمع بحجة أن مشاريع البناء يجب تأجيلها حتى الإنهاء على الديكتاتورية، لكن السؤال.. ماذا لو أنهت الديكتاتورية على الحركة، وهي مقطوعة الصلة بالشارع!!؟

إن التفاعل مع الناس هو من صميم بناء قدرة الحركة على التصدي للديكتاتورية بتثبيت جذورها في المجتمع، فعند التواجد الفعلي كشریان للمجتمع لا كظفر، يكون التخلص القمعي من الحركة مكلفاً جداً، فهو مكلف على النظام نظراً لمساهمة المقاومة مع الدولة في تلبية احتياجات الناس من جهة، ولأن الناس يعتمدون على المقاومة من جهة أخرى.

لذلك فإن المقاومة الواعية لا تبني بينها وبين الناس سوراً عالياً بحجة الانشغال بالمقاومة، فسيخنقها هذا السور لاحقاً، حين لا يرى الناس المقاومة إلا في صورة مجموعة من الشباب الذي يظهر فجأة ليشتبك مع الشرطة، دون أن تكون له أي سيرة ذاتية في الشارع.

إن المقاومة اليقظة تستثمر كل هامش حرية في أن تثبت وجودها الاجتماعي، واعية بأن هذه الفرصة لا تتاح في بعض الأنظمة الديكتاتورية الأخرى. مدركة أن هذا العمل وسط الناس، قد يضع حدوداً للقمع مستقبلاً.

القاعدة التاسعة عشر

قدرة المقاومة على مواجهة القمع
مرهونة بقوة بنيتها التحتية

تهدف هذه القاعدة إلى إيجاد صورة كلية لما هو من مطلوب من مجتمع قوي قادر على التعامل مع القمع. وهي قاعدة جامعة لأغلب القواعد السابقة. بحيث نلخص من خلالها أهم ما طرحه تلك القواعد على الصعيد العملي.

إن مواجهة القمع تتطلب توفر بنية تحتية للمجتمع تمكنه من التغلب على القمع، وكلما قويت هذه البنية تمكن المجتمع من التمسك بمسار اللاعنف، حتى يكاد يصل إلى «اللاعنف المطلق». ليس ذلك فحسب، بل يصبح مجتمعاً له الريادة على مستوى الأسرة الإنسانية، يؤثر في تقدمها بشكل كبير، بعد أن تمكن من تذليل العقبات التي تعترض مفهوم «الكرامة الإنسانية».

وتتكون البنية التحتية لمواجهة القمع من:

علم: بمفهوم «حرب اللاعنف» واستراتيجياته وتكتيكاته، وتطوير الدراسات والأبحاث المعنية بتوفير أجوبة على الأسئلة الملحة في هذا الحقل العلمي. الذي ينبغي أن يجتذب عقولاً تبذل في هذا المجال.

ثقافة عامة: بمفاهيم حرب اللاعنف، تنتشر في الشرائح العمرية المتنوعة في المجتمع. بحيث تشكل لغة مشتركة لدى المجتمع، تؤمن بتأسيس مجتمع قوي، يدار الصراع السياسي فيه بشكل مدني.

تكنولوجيا: قادرة على التغلب على التحديات التي تواجه المحتجين، وتوفر أجوبة عملية على التعامل مع القمع، بحيث تقل الخسائر، وتفقد آلة القمع فاعليتها، ويقهر المحتجون وساوس اللجوء للعنف. مثل تكنولوجيا الدروع والتشويش على الاتصالات، واختراق الأنظمة الإلكترونية لتعطيلها.

قيادة: قادرة على صناعة رؤية لمشروع التغيير، وإبداع استراتيجيات وتكتيكات تتناسب مع هذه الرؤية. والقيادة تختلف عن الزعامة، فالقيادة التي نعينها هنا تنقسم لشقين: عمل فكري بامتياز يرسم الخطط، وقدرة على الإدارة الميدانية للخطوة.

حركات ومجموعات: تمثل رأس الحربة الذي يخوض الكفاح، ويتمسك بالمسار، ويخوض التجربة ويقدم النموذج. وتتنوع المجموعات بين مجموعات تتصدر الصفوف، وأخرى تراقب الانضباط بالمسار، وأخرى تسعف الجرحى، وأخرى ترفع المعنويات، وأخرى تنقل الصورة.

تدريب: على تكتيكات التعامل مع القمع المتنوعة، واستخدام التكنولوجيا والتكتيكات الحركية بكفاءة عالية، بالإضافة إلى تدريبات ضبط النفس والتحكم في المشاعر.

«العرق في التدريب يوفر الدم في المعركة».. حكمة عسكرية تنحسب كذلك على حرب اللاعنف، خاصة فيما يتعلق بتكتيكات المواجهة والانسحاب.

إعلام: يقظ ومحترف في التعامل مع القمع، وإبداع بدائل إعلامية خاصة مع استهداف قوى القمع أحياناً للصحفيين والمصورين. وتكون لديه القدرة على مواجهة تكتيكات النظام في طمس جرائمه أو تضليل الرأي العام. فالإعلام أحد الأعمدة الأساسية لحرب اللاعنف، ويكاد يكون هو الدعامة التي لا انتصار بدونها. فهو الذي يحول القمع إلى هدية.

منظمات حقوقية: تحسن التدخل السريع والتعامل مع حالات الانتهاكات بكفاءة عالية.

المعلومات: التي تساعد القيادة في اتخاذ القرار السليم، فخوض المعارك أو تجنبها يعتمد على توفر المعلومة بشكل سليم.

الحاضنة الشعبية: فهي الدرع الحقيقي للمقاومة.

مجموعات التواصل مع الشرطة: فلا يصح أن يكون اللقاء الأول بين الشرطة والمحتج هي ساحة التظاهر، بل تقوم مجموعات التواصل بين المجتمع والشرطة بكسر الحاجز، وتصحيح الصورة لدى جهاز الشرطة عن

الحركات الاجتماعية والسياسية فيه، حيث أن أغلب معلوماته يستقيها من تقارير العاملين في الجهاز الشرطي، وهي لا تكفي لإيجاد تصور صحيح عن تلك الكيانات. وهذه المجموعات تكون فرص عملها أكبر في الدول التي بها قدر كبير من هامش الحريات.

ومن الوسائل التي تعتمد عليها هذه المجموعات:

* دعوة بعض الضباط إلى فعاليات مخصصة لهم مثل الندوات والمؤتمرات للنقاش حول قضايا مشتركة.

* عمل زيارة دورية لأقسام الشرطة ليس بهدف الرقابة ولكن بهدف التواصل والنقاش.

* إصدار دوريات لنشر الثقافة المجتمعية مثل مجلة الشرطة والمجتمع.¹ بهذه المكونات تتأسس بنية المجتمع لمقاومة التسلط، وكلما قويت المكونات زادت قدرة المجتمع على التحرر، وتضاءلت القابلية للاستبداد. وكلما ظهر نداء العنف على السطح، ونفذ صبر المحتجين، حينها ستكتشف ضعفاً في بنية مواجهة القمع، وبمراجعة المكونات ستكتشف أين يكمن الخلل.

* * * *

1 انظر في الملحق "مجلة الشرطة والمجتمع".

الخلاصات

- * يجب التعرف على الهدف من القمع قبل الانشغال بالتفكير في التغلب على أدواته. وبالتالي بذل الجهد الأكبر في مواجهة الهدف (تخويف، جر إلى العنف، إشعال فتنة، الخ)، مع الوضع في الاعتبار ضرورة التفكير في تقليل أو الحد من أضرار القمع المباشرة على المشاركين.
- * لا تفعل أبداً ما يود خصمك أن تفعله. فإن أرادك خصمك أن تغضب التزم بضبط النفس، وإن أرادك أن تظهر في مظهر الإرهابي، فبالغ في المظهر الحضاري. وإن أراد أن يجرك إلى ملعب العنف فشيّد صروح العمل السلمي وبالغ في المظاهر السلمية.. وهكذا.
- * قد يكون من المفيد في بدايات تأسيس الحركات في أجواء قمعية عدم إظهار قوة الحركة ولفت الأنظار لها. فسلوك الحركة سيشكل مخيلة القيادات الأمنية.
- * أغلب الأنشطة في البدايات تهدف إلى زيادة الموارد البشرية والمالية، وأي نشاط يهدد وجود الحركة يتم استبعاده.
- * الإمكانيات الهجومية مرتبطة بالقدرات الدفاعية.
- * ضرورة الحفاظ على النواة الأولى وعدم تعريضها للإبادة.
- * تطوير استراتيجيات لإيجاد أكثر من مستوى قيادي، مثل إعلان هياكل وهمية، وبذل الجهد في إعداد مستمر لكوادر قيادية، وإيجاد قيادة في الخارج. واعتماد اللامركزية في القيادة.
- * تقع مسؤولية حماية أنفسنا على عاتقنا نحن. أما هزيمة عدونا فتحدث نتيجة خطأ يقع فيه.

* حماية النشاط تكون قبله وأثناءه وبعده، من خلال الحفاظ على صحة الرسائل الموجهة لكل طرف.

* يجب إقناع الخصم أن تكلفة استخدام القمع أعلى من تكلفة التخلي عنه.

* رفع تكلفة القمع تكون بتطوير استراتيجيات وإبداع تكتيكات خاصة بالتعامل مع القمع، وتدريب المجموعات على ذلك، واعتماد أسلوب مجموعات العمل المبدعة. أما كلمة السر فهي الكاميرا.

* حرب اللاعنف لا تواجه الخصم حيث تتركز قوته، وحيث يكون في المساحة القادر على الإبداع فيها. والملعب المفضل للأنظمة هي ساحة العنف. اقطع مصادر القوة عن الخصم، الجماهير.. الدعم الدولي.. قبل أن تدخل معركة مع مصدر القوة الأخير (الأداة القمعية).

* العبقرية ليست في تدمير آلة القمع، أو تفادي ضرباتها، ولكن أن تكون في متناول يديه ولكنها غير صالحة للاستعمال.

* لا تجعل الخصم يجررك إلى معسكر العنف الذي يحسنه ويمتلك فيه كافة الإمكانيات.

* غالباً ما يولد القمع رد فعل مضاد.

* تجنباً للغضب الشعبي يعمد النظام إلى: التعقيم على ما قام به، التهوين منه، إعادة تفسيره، دفع المتضررين للقنوات الشرعية، الترغيب والترهيب. وعلى حركة المقاومة أن تتنبه لتلك الحيل باستراتيجيات مضادة.

* القمع مثل الأنشطة، هو آلية من آليات خلق حوار مع كل الأطراف.

* إن من إبداع حرب اللاعنف أنها لا تعتبر القمع عقوبة، لا تتمناه، ولكنه إن حدث أصبح امتداداً للنشاط، وجزءاً من الخطة.

* إن الخوف عنصر حاضر في المعركة.. إما أن تحتفظ به أو تجعله من نصيب خصمك، هو عنصر متأرجح بين الطرفين ككرة التنس، لكنها في النهاية تقع في ملعب طرف واحد.

* الإشكالية ليست في القمع، ولكن في الخوف من القمع.

* يتم حصار الخوف من خلال الحشود الكثيفة، والاستراتيجيات والتكتيكات التي تقلل من فرص القمع المفرط، واستخدام وسائل الحماية، وخلق الأبطال.

* إن «فرق الأبطال» بصمودها وشموخها واستبسالها وشجاعتها لا تصدر فقط خطوط المواجهة؛ وإنما تنقل عدوى الشجاعة والثقة بالنفس لعموم المشاركين.

* «فرق الأبطال» تصنع صناعة، بداية من الإعداد إلى اختيار التكتيكات الملهمة، إلى الخدمة الإعلامية لاحقاً.

* يزول الخوف تدريجياً من قلوب الذين يواظبون على المشاركة في الاحتجاجات بشكل مستمر، حيث تُكتسب الشجاعة تدريجياً، وتتحول المشاهد المخيفة إلى مشاهد معتادة، ويهون كل شيء في سبيل الحرية.

* لا تجعل شدة القمع تدفعك لرد فعل سريع يحرفك عن المسار، لا تفكر بعقل انتقامي، وتحل بضبط النفس.

* يغلب في التجارب التغييرية التي ووجهت بعنف مفرط أن تفكر المجموعات المقاومة باللجوء للعنف، كرد فعل انتقامي من النظام، ويأثس من المسار.

* تنجو الحركات من براثن العنف المدمر في حالات الوعي المجتمعي، أو وجود قيادة مركزية يسمع لها، أو الانخراط بالفعل في مسار العنف

وتكبد خسائر فادحة (شعبيًا وحركيًا)، مع وجود حركات لاعيفة ملتزمة بالمسار وقادرة على ابتكار وسائل أكثر إيلاًا.

* في حالة غياب وعي مجتمعي، أو غياب قيادة مركزية تدعو لضبط النفس، فإن الحالتين الأخيرتين تعملان معًا، تتجه حركات ومجموعات للعنف، وتخفق في مسارها، ويتزامن مع ذلك وجود حركات ومجموعات لاعيفة، مصرة على الالتزام بالمسار، وقادرة على توليد بدائل فعالة تلفت الانتباه.

* التحكم في المشاعر يعني أنك لم تفقد عقلك، فالرغبة الملحة في الرد تدفعها المشاعر والغريزة، أما كيفية وتوقيت الرد، فهو دور العقل. ليس مطلوبًا أن تقتل المشاعر، فقط نحها عن القيادة، واجعلها دافعًا لعقلك لكي يبدأ العمل.

* استثمر طاقة الغضب عند خصمك، فالغضب سيظهر وجهه الحقيقي، وسيزيل مساحيق التجميل الخادعة. فيبدو دائمًا عبوسًا، بينما تبدو المقاومة دائمًا مرحلة تحمل بشارات المستقبل.

* حرب اللاعنف هي حرب إرادات، والقمع المفرط يسعى إلى كسر المعنويات وخلخلة الإرادة. لذلك كان من المهم وجود مجموعات تهتم برفع المعنويات، خاصة في الحالات التي تحدث فيها إصابات كثيرة أو اعتقالات أو يسقط شهداء.

* من أشكال رفع المعنويات: تجنب العبارات التي توحي بأنها المعركة الأخيرة، والتأكيد على عدالة القضية، وإعادة صياغة ما جرى، والتوثيق والاستثمار الإعلامي، والتخطيط للانسحاب المشرف، وتنفيذ تكتيك هجومي لاعيف مفاجيء.

الاهتمام بإيجاد احتياطي بشري لا يشارك في المعركة، فهؤلاء لم يروا الأزمة، وستكون روحهم المعنوية عالية رغبة في المشاركة وتعويض ما فاتهم. عبقرية الاستراحة أحياناً تكون سبباً في رفع المعنويات.. استراحة البعض وعدم الدفع بالجميع للساحات.

* كما يتواجد الطبيب البشري بمشفاه الميداني في قلب المعركة، فإن الطبيب النفسي يجب أن ينصب مشفاه بعد المعركة.

* إن صناعة المعضلة يعني «التحدي الذكي»، وكسر القانون الجائر بمكر. هي استراتيجية يتغلب فيها الابتكار على الروتين. لتجعل النظام في كل مرة يبذل جهداً في التفكير في مخرج. إنها أقرب لصناعة المتاهة، التي تُدخل حركة المقاومة الواعية النظام فيها، لتجعل كل تحركاته خاضعة لها في الممرات التي رسمتها، حتى وإن خُيِّل له أن اليد العليا له.

* عندما تزداد حدة القمع قد يلجأ المقاومون إلى استراتيجية التدخل الخشن. وهي استراتيجية يجب التعامل معها بحرص بالغ.

* التدخل الخشن لا يعني التدمير؛ وإنما التعطيل.

* الالتزام بضوابط التدخل الخشن الستة يقي العملية التغييرية من الانجراف في هاوية المسار العنيف.

* هناك حركات أحسنت تأسيس نفسها من اليوم الأول، وهي التي بذل قادتها جهداً في دراسة منهج اللاعنف بشكل موسع، كما درست العنف وأحسنت فهم لغته وطريقة عمله. وبالتالي فهي تستوعب جيداً على أي أسس بدأت. وهناك حركات أخرى بدأت بالشعار العام «سلمية»، دون عمق معرفي، وقد تكون تورطت بالفعل في بعض أشكال العنف المحدود. هذا الصنف من الحركات يحتاج إلى ارتداء ثوب جديد

- بتصميم مختلف يعكس أخلاقها وميولها، لتعيد تعريف هويتها.
- * المقاومة الواعية تنتقل من دور تقليد وتجميل الأظافر إلى زراعة الشرايين، فتستثمر كل هامش حرية في أن تثبت وجودها الاجتماعي. مدركة أن هذا العمل وسط الناس، قد يضع حدوداً للقمع مستقبلاً.
- * إن معركة السمعة من أنواع المعارك التي تنتهي قبل أن تبدأ، ففتح الملفات المسيئة للسمعة هو آخر خطوة فيها.
- * إن معركة السمعة لا تُشن فجأة، بل يتم التجهيز لها على فترات طويلة من رصد الأخطاء، وربما أغرى الخصم المقاومة بسكوته في الوقوع في المزيد من الأخطاء. أو أظهر أنه يتأثر سلباً بهذه الأخطاء، ومن ثم تبالغ المقاومة فيها وتقع في الفخ.
- * إن مواجهة القمع تتطلب توفر بنية تحتية للمجتمع تمكنه من التغلب على القمع، وكلما قويت هذه البنية تمكن المجتمع من التمسك بمسار اللاعنف، حتى يكاد يصل إلى «اللاعنف المطلق»، ليس ذلك فحسب؛ بل يصبح مجتمعاً له الريادة على مستوى الأسرة الإنسانية، يؤثر في تقدمها بشكل كبير.

